الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
جامعة ابن خلدون –تيارت–
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر

الموسومة بـ:

طرابلس الغرب أثناء احتلال الإسبان وفرسان القديس يوحنا (1510م-1551م)

من إعداد :

- لعزاب خيرة
- مساي أمال

تحت إشراف الأستاذ:

*بوعناني العربي

لجنة المناقشين

الأستاذة: دوبالي خديجة	رئيسة
الأستاذ: موساوي مجدوب	مناقشا
الأستاذ: بوعناني العربي	مشرفا

الموسم الجامعي: 2016–2017

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

أعظم الشكر ومنتهاه

إلى الذي لا انحناء إلا بفضله ولا هداية إلا بأمره ولا توفيق إلابإذنه ولا تقدم إلا بتسهيل منه.

أتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى الأستاذ المشرف "بوعناني العربي " الذي لازمنا طوال بحثنا هذا، ولم يبخل علينا بنصائحه وارشداته القيمة إلى أن اكتمل هذا العمل المتواضع الذي نأمل أن يكون فاتحة خير لنا ولأمتنا.

كما أخص بالشكر كل من ساهم في مناقشة أو مراجعة هذا العمل وبالخصوص الأستاذ " موساوي المجدوب"، لأن المرء قد يقف عاجزا عن رد الجميل لأشخاص تعجز العبارات عن إيفائهم حقهم لقوله صلى الله عليه وسلم "من لا يشكر الناس لا يشكر الله"

إهداء

إلى الذي قال تعالى فيهما: ﴿**وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**﴾

إلى الذي بكى القلب قبل العين لوعة على فراقه أقدم هذا العمل أمارة بأبوته قدس الله روحه ونور ضريحه وأمطر حدثه بشآبيب الرضوان وأسكنه فسيح الجنان الأب أحمد".

إلى نبع الحنان التي ساندتني ووقفت إلى جانبي حتى وصلت إلى هذه المرحلة من التقدم والنجاح ،إلى من تعجز الكلمات عن وصفها وتسكن الأمواج لسماع اسمها والدتي الغالية "بختة" أطال الله في عمرها.

إلى بلسم روحي حبيبي وقرة عيني زوجي بلال دون أن أنسى عائلة زوجي على رأسها الدرة الثمينة الأم خيرة ومستخلف والدي الأب أمحمد، وكل الإخوة والأخوات: صليحة وأولادها، أمال، توفيق، يوسف، أبو بكر، عدنان.

إلى من احتضنوني وزرعوا الورد في طريقي نادية، عائشة، فتيحة، زينة، وأولادهم، دون أن يشغلني الذكر عن الذي ساندني في مشواري وكان خير سند لي في الدنيا بعد والدي أخي عدة وزوجته نفيسة.

إلى رفيقات الدرب وبنات المستقبل صديقاتي المخلصات: خيرة، مسعودة، صباح.

مساي أمال

إهداء

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار، إلى من علمني العطاء دون انتظار، إلى من أحمل اسمه بكل افتخار إلى من سعى جاهدا لرفع مقامي، إلى من غرس في نفسي حب التعلم، إلى من لو أهديته الدنيا وما فيها ما وفيته ذرة من حقه علي إلى العزيز الغالي أبي.

إلى ملاكي في الحياة إلى معنى الحب والعطاء إلى بسمة الحياة وسر الوجود، إلى الحضن الدافئ والقلب الجريء الذي عاش معي حياتي دون أن يمل أو يكل أو أغيب له عن البال إلى قرة العين ونبض الفؤاد أمي الغالية.

داعية من المولى عز وجل بطول العمر والعافية آمين

إلى بلسم الروح وفلذة الكبد جدتاي عائشة والسنية.

إلى أغلى من سكنوا روحي ووجداني، إلى من كانوا خير سند لي أخي الحنون عمر وأختي نوال وزوجها داود والعصفورة الصغيرة رودينة، إلى خديجة، زينب، نعيمة، فاطمة، خيرة،حورية،مليكة.

كما لا يفوتني أن أهدي عملي هذا إلى من رافقوني طوال مشواري الدراسي إلى من كانوا بمثابة الأخت إلى مسعودة، أمال، فاطمة الزهراء، سامية، نسيمة، حياة.صباح،سمية

إلى خالي العزيز وخالاتي وأولادهم إلى عمتي الحبيبة زينب وأولادها(حسين-محمد)

إلى كل من ساعدني ووفق بجنبي ولم تذكرهم كلماتي.

لعزاب خيرة

قائمة المختصرات:

ص: الصفحة.

ص ص: صفحات متعددة.

ط: الطبعة.

ج: الجزء.

م: ميلادي.

هـ: هجري.

د.ط: دون طبعة.

د.ت: دون تاريخ .

د.م: دون مكان .

تح: تحقيق.

تع: تعليق.

تر: ترجمة.

مج: مجلد.

مقدمة

حظيت طرابلس الغرب بمكانة مرموقة بين دول شمال إفريقيا، وذلك لبساطة سواحلها الشمالية المقابلة لسواحل أوروبا الجنوبية، وكذا كونها مركزا للتبادل التجاري، هذا ما ألب عليها الأطماع الأجنبية التي كانت تهدف إلى تحقيق التفوق والإنفراد بالسيادة، وكذلك التمكين للمسيحية، وهدفها المنشود لم يكن الكشف الجغرافي أو السيطرة على الأسواق المحلية أو احتكار التجارة فحسب، بل كانت تود أن تتخذ منها قاعدة أمامية تلجأ إليها وتحمي بها و بمينائها مراكب وسفن قراصنة الأسبان وبقية الشعوب المسيحية الأخرى.

لم تتحرك إسبانيا لوحدها في احتلال طرابلس الغرب، بل انضم لها الكثير من أنصار البابوية في روما وكل الطوائف النصرانية بما فيها الكاثوليك، هذا لا يعني أن هناك من الأوروبيين من يجرأ على مزاحمة الإسبان في الزعامة.

ولقد كان لسقوط آخر معاقل المسلمين بالأندلس (غرناطة) 1492م أثره الواضح على الإسبان الذين شعروا بازدياد الروح الوطنية لديهم، فاندفعوا وراء هذا الانتصار وغالوا فيه لدرجة أنهم لاحقوا العرب بعد مطاردتهم حتى وراء حدود بلادهم.

ومن هنا نطرح الإشكالية المراد معالجتها في هذا الصدد:

إلى أي مدى وفق الإسبان في احتلال طرابلس ؟ وما هي الظروف التي عجلت بانسحابهم منها ؟

وينبثق عن هذه الإشكالية التساؤلات التالية:

- ما هي أبرز الخسائر التي تكبدها الإسبان بطرابلس أثناء دخولهم لها ؟
- وما هي الظروف التي عجلت بانسحاب إسبانيا من طرابلس وتسليمها لفرسان القديس يوحنا ؟
- ما موقف الأتراك العثمانيين من الوجود الإسباني بطرابلس وفيما تجلت هذه المواقف ؟

وقد اعتمدنا في بحثنا على المنهج التاريخي والتحليلي والسردي الأنسب لسرد الحقائق ووصفها.

وعليه فإن اختيارنا لهذا الموضوع يعود إلى عدة أسباب يمكن إيجازها في ثلاثة عناصر:

- رغبتنا الشخصية في التعرف أكثر عن أهم جوانب الاحتلال الأوروبي المسيحي لطرابلس الغرب في الفترة الممتدة من 1510م إلى 1551م.
- الأهمية التي يكتسيها موضوع الاحتلال الإسباني وفرسان القديس يوحنا.
- كون الموضوع لم يحظ بالدراسة الكافية من طرف الباحثين من قبل.

هذه الأسباب مجتمعة أوجدت لدينا الرغبة في دراسة الموضوع الذي أردنا أن يكون تحت عنوان طرابلس الغرب أثناء إحتلال الإسبان وفرسان القديس يوحنا (1510م-1551م).

ولانجاز هذا العمل ارتأينا تقسيمه وفق منهجية مكونة من مقدمة ومدخل مرفق بثلاثة فصول وخاتمة، كما ذيلنا البحث بمجموعة من الملاحق الهامة التي تصب في موضوع البحث، وكانت خطتنا هاته تبعا لما اقتضته طبيعة الموضوع ومادته العلمية.

كانت البداية بمقدمة قمنا فيها بالإحاطة بالموضوع وطرح إشكالية وكذا دوافع اختيارنا للموضوع مع إبراز أهم المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها.

تناولنا في المدخل الأوضاع العامة لطرابلس قبيل الاحتلال الإسباني، حيث ذكرنا باختصار أهم الحكام الحفصيين الذين توالوا عليها منذ خضوعها لهم، كما تحدثنا عن بداية حكم بني ثابت بهذه المدينة سنة 1324م، و كيفية تدخل ملك صقلية الأراغوني الذي واتته هذه الفرصة بضرورة احتلال جربة وضمها إلى حكمه، وأشرنا في نهاية المدخل إلى سقوط الدولة الحفصية الذي جعل طرابلس تتخذ لنفسها حكما ذاتيا تسيره لوحدها.

أما الفصل الأول جاء بعنوان السيطرة الإسبانية على مدينة طرابلس الغرب، وقد اشتمل على مبحثين، حيث جاء المبحث الأول بعنوان الاحتلال الإسباني لطرابلس والثاني حول الحملات الإسبانية على طرابلس الغرب.

أما الفصل الثاني كان معنونا بفرسان القديس يوحنا وحملات شارلكان تضمن ثلاثة مباحث، الأول بعنوان الظروف السياسية التي أجبرت إسبانيا على التنازل عن طرابلس لفرسان القديس يوحنا،

والثاني بعنوان حملة شارلكان على تونس 1535م، أما الثالث تخصص لحملة شارلكان على الجزائر سنة 1541م.

وخصصنا الفصل الثالث للتواجد التركي في سواحل شمال إفريقيا تضمن مبحثين، الأول بعنوان جهود الإخوة بربروس بجزيرة جربة سنة 1512م، أما المبحث الثاني بعنوان ظروف التواجد العثماني بطرابلس ونتائجه.

ولإثراء هذه الدراسة اعتمدنا على قائمة بيبلوغرافية أولا المصادر نذكر منها: الحوليات الليبية لشارل فيرو استقينا منها أهم الانجازات التي حققها الإسبان بطرابلس، بالإضافة إلى كتاب ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م لإيتوري روسي ،وكتاب التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار لابن غلبون، واللذان أفادانا بشكل كبير في رصد تحركات فرسان القديس يوحنا في طرابلس.

أما بخصوص المراجع فاعتمدنا على الكثير من الكتب وبعض المقالات المنشورة في المجلات كانت في صلب موضوع بحثنا نذكر على سبيل المثال كتاب عزيز سامح التر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية الذي ساعدنا بكثرة في حملتي شارلكان على تونس والجزائر، أما كتاب تاريخ الفتح العربي في ليبيا لطاهر أحمد الزاوي الذي أفادنا بشكل كبير في معرفة أهم الأحداث التي عرفتها طرابلس قبيل الاحتلال الإسباني، و كذا كتابه الأخر أعلام ليبيا الذي أفادنا في التعريف بالعديد من الشخصيات الليبية ، بالإضافة إلى كتاب بسام العسيلي بعنوان خير الدين بربروس والجهاد في البحر (1470م – 1547م) والذي تطرقنا من خلاله إلى جهود الإخوة بربروس (عروج وخير الدين) بجزيرة جربة سنة 1512م.

كما اعتمدنا على بعض المقالات أهمها: مقال لمولاي بالحميسي بعنوان غزوة شارل الخامس على مدينة الجزائر، ومقال آخر لحكمة ياسين بعنوان الغزو الإسباني للجزائر في القرن السادس عشر.

وكما هو معلوم لدى الباحثين أن كل بحث لا يخلوا من العراقيل التي تقف عائقا دون الوصول إلى المبتغى والهدف المنشود، وأهم ما أعاقنا طوال مسار بحثنا شح المادة العلمية المتعلقة بموضوع بحثنا

إضافة إلى نقص الخبرة، إذ هي المرة الأولى التي ننجز فيها رسالة وفق المنهجية العلمية مما يعني الوقوع في بعض الأخطاء، التي سوف نوفق إلى التعرف عليها من طرف الأساتذة المناقشين.

وأخيرا نعتقد أننا بعملنا هذا نأمل أن نكون قد أسهمنا في وضع لبنة في صلب البحث العلمي لكتابة موضوع لتاريخ الاحتلال الإسباني لطرابلس، وإن كان البحث لا يخلوا من النقائص والهفوات فإن أملنا الوحيد هو أننا بذلنا قصارى جهدنا لتقديم هذا العمل على أحسن وجه ممكن.

مدخل

طرابلس الغرب قبيل الاحتلال الاسباني

سير حكم طرابلس من طرف ممثل الحفصين الذي انحصرت سلطته في المدينة، وقد كان هذا الحكم محليا إذ سيطر عليه شيخ أو شيوخ القبائل ،بدعم من أشراف وأعيان القوم الذين كان لهم نظام قائم على العادة[1]، و في هذه المرحلة كانت أقوام البربر خاضعة للعرب المتمركزين على ساحل طرابلس، و قد كان النفود الغربي في قابس لعرب النوائل ،بينما كان في الشرق لعرب بني وشاح من بطون دباب[2] المتفرعين إلى المحاميد وتمركزوا في قابس وجبل نفوسة، أما الجواري فكانوا يعيشون بطرابلس وكان رئيسهم مرغم بن صابر[3]، إضافة إلى بعض الجماعات الصغيرة التي كانت في الجهة الشرقية حيث تحولت السيطرة لأولاد سالم وزعيمهم غلبون بن مرزوق[4].

خضعت طرابلس للحكم الحفصي بتونس منذ سنة 603 هـ،وقد هاجمها ابن غانية الذي هزمه عبد الواحد الحفصي سنة 604هـ[5]، بعدها سار حكام هذه المدينة على نهج الملوك المستقلين وقد كان أبو عبد الرحمن يعقوب ابن يعقوب يوسف ابن محمد الهرغي[6]، يقطن مدينة طرابلس سنة 639 هـ 1242م وكان ذا نفوذ واسع ظهرت في عهده ثورة في طرابلس، كان سببها قتل الأمير

[1]- محمد مصطفى بازامه، ليبيا في عشرين سنة من حكم الاسبان 1510-1530م، د.ط،منشورات مكتبة الفراجاني، طرابلس، د.ت، ص: 27.

[2]- ايتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911: تر: خليفة محمد التليسي،ط1-ط2، دار العربية للكتاب، الإسكندرية، 1972م-1991م، ص: 134.

[3]- إسماعيل كمالي، سكان طرابلس الغرب، تع: الحسن الهادي بن يونس، د.ط،مركز اللبيين، طرابلس، د.ت، ص: 37.

[4]- ايتوري روسي، نفسه، ص: 135.

[5]- عبد الله محمد ابن خليل ابن غلون الطرابلسي، التذكار في من ملك طرابلس وما كان بها من الأخيار، تع: طاهر أحمد الزاوي، ط1،دار المدار الإسلامي، ليبيا،2004م،ص: 23.

[6]- يعقوب ابن بعقوب الهرغي: هو أبو عبد الرحمن أول أمير حفصي على طرابلس سعي إلى الاستقلال بحكم طرابلس لنفسه بعيدا عن الحفصيين لكن أعيان طرابلس علموا بذلك فثاروا وقبضوا عليه قبل أن ينفذ مخططه وبعد ذلك أمرهم بحي ابن عبد= الواحد بقتله هو وأنصاره (الطاهر أحمد الزاوي، ولاة طرابلس من بداية الفتح العربي إلى نهاية العهد التركي، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، 2004م، ص: 113).

الحفصي لوزيره الجوهري، وهو ماجعل سكان المدينة يتخوفون من العواقب، فأطلعوا حكومة تونس بما يجري، وقامت هذه الأخيرة بقتل يوسف ابن محمد الهرغي وأنصاره وعلقت جثثهم على باب هوارة وبعثت برؤوسهم إلى تونس.

وفي سنة 1247م تحول حكم المدينة إلى أبو إسحاق محمد ابن عيسى الهنتاني[1]، الذي حكم من سنة 1247م إلى غاية 1280م ،في الوقت الذي كان أحمد ابن أبي عمارة يدعي فيه نسبه إلى الحفصيين وأنه أحد أبنائهم، سارع السلطان الحفصي لقتله وباشر في إثارة الاضطرابات للحصول على عرش تونس، وقد هاجم طرابلس رفقة مرغم ابن صابر زعيم بني جواري، لكن محمد الهنتاني قاومهم ودافع عن المدينة[2].

وفي الفترة التي كان فيها الإقليم الغربي لطرابلس الغرب (جنزور وزوارة) يخضع لابن أبي عمارة الذي استولى على قابس و تونس سنة 1283م، قد قتل وظهر عنصر جديد كان يهدد الأمن في طرابلس الغرب وإفريقية، ألا وهو عنصر البدو من العرب الذين تمركزو في طرابلس ،وهو ما سهل للأمير الحفصي أبو زكريا يحي [3](سيد تونس الغربية) لقيادة حملة ضد الإقليم الغربي لطرابلس، والتي أخضع فيها أل سالم وعرب برقة والجواري، لكن خلال فترة تواجد هذا الأخير بمصراته فوجئ بهجوم

[1]– محمد ابن عيسى الهنتاني، لقب بعنق الفضة وهو من قبيلة هنتانة ولي طرابلس واستقر بها عن الحفصيين وقد ظهر في عهده أحمد بن مرزوق الميسي (أبو عمارة)، الطاهر أحمد الزاوي، المرجع السابق، ص: 114.

[2]– أبو زكريا يحي، هو يحي ابن عبد الواحد كنيته أبو زكريا وهو مؤسس الدولة الحفصية كان أميرا على إفريقية سنة 625هـ، والتي استقل بها سنة 626هـ حيث دام ملكه 355 سنة وإحدى عشر شهرا وتوفي سنة 647هـ وعمره 49 سنة، (الطاهر أحمد الزاوي، نفسه، ص: 113).

[3]– ايتوري روسي، المصدر السابق، ص: 114.

سلطان تلمسان على عاصمة إمارته (بجاية)، ما جعله يغادر طرابلس الغرب نحو بجاية لكنه قتل في تونس، وهو ما مهد لظهور ثائر آخر حارب وعارض الحفصيين فانطلقت الحركة من جديد.

في هذه الفترة كان آخر الأمراء الموحدين(عثمان ابن أبي دبوس) يعمل على استرجاع ملك والده، حيث اتجه بحرا ونزل بطرابلس وقد سانده في ذلك جنود ملك الأراغون ببرشلونة، وتم تحرير أسر القائد العربي مرغم ابن صابر الذي كان سجينا بصقلية، بعدها رافق هذا الأخير عثمان الذي وصل إلى طرابلس، وعمل جاهدا للإستيلاء على هذه المدينة وذلك بمساعدة الجنود المسحيين والعرب الذين جمعهم ووحد صفوفهم مرغم سنة 1289م -1290م، لكن رغم كل هذا فشل كل من عثمان ومرغم، فانسحبا وقاما بجمع الضرائب من أهالي المنطقة، وذلك من أجل دفع أجرة المسحيين مقابل المساعدة التي قدموها لهما.

بعد ذلك وفي سنة 1306م ثار سكان تونس على حداج وهو أحد زعماء بني كعب، بسبب اقتحامه لجامع الزيتونة دون نزع حذائه بغية خرق التقاليد فقتلوه، كما جعل بني كعب يسعون إلى الثأر فقام زعيم أحمد ابن الليل باستدعاء عثمان ابن أبي دبوس للهجوم على تونس لكنه فشل وهزم[1].

إن من أهم الأمور التي جعلت اهتمام الحفصيين ينصب على طرابلس هو موقعها الإستراتيجي الهام وكذا خضوعها لحكمهم بسرعة،فبعد إزاحة محمد ابن أبي عمران عن حكم طرابلس خلفه محمد ابن كعبور الذي اغتيل من طرف سعيد ابن طاهر المازوني ،الذي حكم طرابلس رفقة أبي

[1]- ايتوري روسي، المصدر السابق، ص ص: 115-117.

البركات ابن أبي الدنيا، وقد تحولت السلطة بعد سعيد ابن الطاهر إلى أحد أفراد قبيلة زاكوغة وهم من البربر، واسمه ثابت ابن عمار والذي قتل بعد ستة أشهر على يد أحمد ابن طاهر،الذي حكم مدة قصيرة وقتله بربر زاكوغة بدافع الانتقام وأخذ الثأر.

وفي سنة 727هـ 1326م -1327م تم اختيار حاكم جديد ليتولى مقاليد الحكم ألا وهو محمد ابن ثابت[1] ابن عمار ما سهل تثبيت الأسرة البربرية من بني ثابت[2] في طرابلس ،والتي تعرف ببني عمار الذين حكموا قرابة الثمانين عاما[3].

استفاد أبو بكر ابن محمد بن ثابت من عودة السيادة الحفصية إلى تونس، حيث قام بإستئجار سفن مسيحية بالاسكندرية حاصر بها مدينة طرابلس وسانده في ذلك البدو من العرب ما سهل عليه مهاجمة المدينة للإستيلاء عليها، حيث اعترف بالسيادة الحفصية وأرسل لحكامها الهدايا وخطب باسمهم خلال خطبة الجمعة، لكن وبوفاة هذا الأخير في سنة 972هـ 1389م تحولت السلطة إلى ابن أخيه علي ابن عمار الذي شك في إخلاص وولاء قاسم بن خلف الله قائد الجيش بسبب دعمه ليحي ابن أبي بكر ثابت، فأبعده عن طرابلس قصد جمع الضريبة من مسراته، وبعد ما سمح له بالعودة إليها، إلا أن قاسم تملكه الخوف على نفسه فطلب السفر إلى الحج فكان له ما طلب بعدها التقى هذا الأخير في الإسكندرية بأحد أعوان سلطان تونس والذي ساعده ووفر له الحماية

[1]- محمد ابن ثابت:تولى طرابلس بعد وفاة والده ثابت سنة 730هـ غزى جربة في أسطول عظيم ،حيث استولى عليها وأصبحت تابعة لطرابلس،(الطاهر أحمد الزاوي، المرجع السابق، ص: 268).

[2]- بنو ثابت: هم عرب الوشاحيون من بني سليم من الأسرة الطرابلسية التي سكنت المدينة، حيث استقلوا بحكمها حوالي 79 سنة وكان أول حاكم منهم محمد ابن ثابت الذي تولاها سنة 724هـ وآخر حاكم لها هو يحي ابن أبي بكر بن ثابت،(الطاهر أحمد الزواي، نفسه، ص: 267).

[3]- إيتوري روسي، المصدر السابق، ص: 140.

للانتقال إلى تونس، حيث عمل على تحريض السلطان على احتلال طرابلس، فقام السلطان التونسي بإرساله رفقة ابنه أبي حفص عمر وبعض القوة لمحاصرة هذه المدينة.

فقد تمكن ابن عمار خلال حصار طرابلس الذي استمر قرابة عام من مقاومة الجيوش الحفصية والعرب الطامعين في أموال التونسين، وهو ما ساعد جيش الحفصين للعودة إلى تونس في سنة 793هـ 1392-1993م ما سهل لابن عمار تحقيق الاستقلال عن تونس[1]، والذي كان يطمح للحصول على العون من الخارج ما جعل مملكة صقلية تسانده ،وذلك في أواخر القرن 14م حيث كان ملوك صقلية (الأراغون) قد إلتفتوا للإهتمام بمصالح وشؤون إفريقيا الشمالية في الوقت التي زادت رغبتهم في الاستيلاء على جربة من جديد رغم خروجها عن طاعتهم سنة 1334م.

أما في سنة 1388م كان الأمير الصقلي مانفريدي كيارومونتي قد حقق نجاحا باهرا في الاستيلاء على جربة بمساعدة من السفن الجنوية، وقد طلب من البابا منحه هذه الجزيرة لينصب حاكما عليها،فكان له ما أراد، ولكن وبعد وقت قصير أعلنت هذه الجزيرة استقلالها حتى عن تونس، بعدها كلف مارتينو الصقلي في سنة 1392م غوليلم تالامنكا فيتودي ومالكندونيس بالذهاب إلى تونس لمطالبة السلطان أبي العباس إما بإعادة جربة أو بالمساعدة على إعادة احتلالها، فقبل ملك طرابلس وأهل جربة مساعدة الملك مارتينو الصغير ضد السلطان أبي العباس، فسهل الأمر على هذا الملك الأخير الدي أرسل إلى إفريقية كل من غوليلم تلامنكا وأوغونيدي سانتاباشي بوثيقة رسمية[2]، مؤرخة في 22 أفريل 1393م بغية التفاوض مع أمير طرابلس وأهل جربة لإعادة القلعة وجزيرة جربة

[1]- إيتوري روسي، المصدر السابق، ص: 143.

[2]- نفسه، ص: 144.

بأكملها مع تحرير الأسرى المسحيين ودفع تعويض، لكن وفي شهر ماي 1993م وقبل أن ينطلق المبعوثان في رحلة سفرهما وصل إلى الملك مارتينو وفد من طرابلس بلغه برفعهم لعلم الملك فوق جزيرة جربة وطرابلس ودعاه لإرسال من يتولى ويدير شؤون هذه المدن.

ومن هذا المنطلق نجح مبعوثا الملك في السيطرة على جربة والحفاظ عليها إلى غاية سنة 1399م (أي قرابة سبعة سنوات)، وهو العام الذي تمكن فيه سلطان تونس من استرجاع جربة وطرابلس، لكن قبل هذا العام وبالتحديد في سنة 800هـ (1397م-1398م) كان أبو فارس عبد العزيز سلطان تونس قد حضر إلى طرابلس وذلك ليزيل علي ابن عمار وليعين مكانه ابن عمه يحي ابن أبي بكري بن ثابت ليتولى زمام الأمور[1].

إن الكثير من المراجع التي تناولناها ذكرت أن حياة محمد ابن ثابت كانت متواضعة متأرجحة بين الاشتغال بالتجارة والسير بالأسواق، وكذا معاملة الناس بلطف طوال ثمانية عشر سنة من حكمه ،وبعد ذلك سلم مقاليد الحكم لوكيل السلطان الحفصي بتونس بينما تولى هو أمور السيادة، حيث تم التخلص من الحفصيين وحكمهم، وهو الأمر الذي ساعد على بروز قوة المرينين من بينهم أبو الحسن الذي استولى على تونس وتمكن من الحصول على ولاء حاكم طرابلس محمد ابن ثابت.

بعد استرجاع الحفصيين لنفوذهم وسيطرتهم تحولت السلطة إلى محمد ابن ثابت في سنة 1347م، والذي عمل على تغيير سياسة والده، حيث قام الأميرال الجنوي فيليب دوريا خلال فترة حكم بن ثابت بحملة حربية انطلقت من جنوا إلى سردينيا، لكنها باءت بالفشل، وكتغطية لهذا

[1]- إيتوري روسي، المصدر السابق ، ص ص: 144-155.

الإنهزام إتجه إلى طرابلس خاصة بعدما تأكد من عجزها الدفاعي، لهذا تخلت جنوا عن هذا القائد الذي تعالت أخبار هزائمه.

وقد كان قدوم التجار الجنويين المتواصل إلى طرابلس دافع ألا وهو تكوين معرفة معمقة عن المدينة وكذا عن تحصيناتها الدفاعية التي ظهرت بأنها ضعيفة، وهو ما أغواهم في 21 جانفي 14354م و15 جانفي 1355م بمباغتتها ليلا واحتلالها، حيث لجأ ثابت ابن محمد إلى الإستنجاد بأولاد مرغم من قبيلة الجواري والذين استغلوا[1] الوضع لصالحهم وأخذوا بثأرهم، من خلال قتل ثابت ابن محمد وأخوه عمار، وبعد استيلاء الجنويين على طرابلس سلموها إلى أحمد المكي صاحب قابس، وذلك مقابل 50 ألف قطعة، والذي حافظا على سلطته وسيادته فيها خاصة بعد هروب ولدي ثابت إلى مصر.

تركزت السيطرة الحفصية على مدينة طرابلس في العشر الأوائل من القرن الخامس عشر، لكنها تلاشت فيما بعد شيئا فشيئا، خاصة بعد ظهور ثورات المرابطين، وبهذا استغلت كل من قابس والجريد وطرابلس ضعف الحفصيين وإدعت حكما تسيره بنفسها وهو شبيه بالجمهورية، والذي انجر عنه تشكل مجلس شوري لطرابلس يترأسه شيخ أين تم تعيين أول ملك مستقل لهذه المدينة،الذي قتل سنة 1472م واستخلفه يوسف الذي كان ضحية الطاعون عام 1480م، بعدها تمت مبايعة الأمير مامي بالمسجد الكبير من قبل سيدي منصور[2].

[1]- ايتوري روسي، المصدر السابق، ص: 141.

[2]- نفسه، ص ص: 142-147.

في سنة 1492م تولى حكم البلاد عبد الله حكما الذي حكم حكما ذاتيا، و كان تقيا صالحا ورعا اتجاه بلده، كما قام بإعداد فرقة من السفن من أجل مضايقة المسيحيين وكذا ربط علاقات تجارية مع كل من صقلية ورودس، فتبعية طرابلس لتونس تنتهي بصفة رسمية سنة 1460م، وذلك بسبب سيطرة أبي زكريا الثالث بن مسعود على طرابلس سنة 1488م-1489م، فكانت تلك هي آخر محاولات الحفصيين لإعادة السيادة الحفصية إلى طرابلس.

نظرا للجور الذي قام به بيكام حفيد زكريا، ضد أهل طرابلس، فقد لجؤوا إلى تعيين زعيم جديد لتولي قيادة حكومتهم والذي لم يكن عند حسن ظنهم بسبب طغيانه، فكان هذا دافع ساعد في إبعاده عن الحكم، وتم تنصيب أبي بكر عبد الله مكانه فتولى مقاليد الحكم إلى غاية وصول الكونت بيدرودي نافارو سنة 1510م[1].

بعد استيلاء العرب على صقلية وجزر البحر الصقلي(الأرخبيل المالطي ونيتالبريا) في القرن 9م تحولت هذه الأخيرة إلى ممر سهل سير العلاقات التجارية الأولى لطرابلس بأوروبا والتي تطورت بدخول النورمان للشمال الإفريقي ولطرابلس خلال القرن 12م، حيث كان ميناء شياكا مزدحما على الدوام بالسفن ومن بينها السفن الإفريقية وسفن طرابلس الغرب.

كان الفضل لاستمرار وكثافة المبادلات بين طرابلس وصقلية يعود إلى القرب النسبي بينهما وللاهتمام المتزايد من طرف حكام صقلية، الذين لم يكتفوا بالاستيلاء على طرابلس سنة 1146م

[1]- إيتوري روسي، المصدر السابق، ص: 149.

إلى غاية 1158م والتدخل في شؤونها خلال سنة 1393م ، بل استولوا حتى على جربة وتحولوا إلى سادة لها وقاموا بحملات عليها وعلى قرقنة سنة 1424م 1432م.

وخلال القرنين 14م 15م تداخلت علاقات طرابلس بصقلية ،وذلك مع الأسواق القشتالية النابوليتانية الأمر الذي ساعد في سنة 1444م على ظهور تجار صقليون بين الملك فرانسوا والسلطان الحفصي أبي عمر عثمان، وذلك بإبرام اتفاقية كانت بنودها قد حددت أكثر من فترة ووقعت من طرف ألفوندو فقط.

أماني سنة 1477م فقد تمكن الملك فرديناند أراغون من عقد اتفاقية كانت من الممكن أن تشمل طرابلس رغم خروجها في تلك الفترة عن حكم تونس، وقد كان الهدف من المفاوضات التي بين الملك فرديناند والحفصيين هو هدف تجاري بالدرجة الأولى، وذلك من القرن 12م باعتبار أن تلك الأقاليم كانت تحصل على القمح من صقلية، إلى جانب تعامل التجار الصقليين والقشتاليين مع الموانئ الإفريقية، لتسهيل المبادلات وتصريف البضائع وهو ما ساعد على نشاط الموانئ الساحلية بطرابلس وتحويلها إلى مقر تتوافد عليه السفن.

أما بالنسبة للشروط الرئيسية لهذه الاتفاقيات فقد تركزت على الالتزام بمساعدة السفن الغارقة قرب السواحل وعلى احترامها، وذلك مثلما حصل في سنة 1497م حيث غرقت سفينة بندقية بسواحل طرابلس وهي بطريق العودة من الإسكندرية ومحملة ببضائع التجار العرب.

لم تقتصر العلاقات التجارية الطرابلسية على صقلية فقط، بل كانت في أوائل القرن العاشر مع البندقية وحتى المهدية، ولهذا فقد سهل حصول البندقية في بداية القرن الرابع عشر على امتياز

استثمار ملاحات رأس المخبز في زوارة، والذي استمر حوالي خمسة قرون، حيث أبرمت في القرن الخامس عشر وبالتحديد في 09 يونيو 1356م اتفاقية تجارية بين فينيسا (البندقية) وصاحب طرابلس وإفريقية الشرقية أحمد المكي ،والتي نصت على تقديم فينيسا خدمة بحرية منتظمة إلى إفريقيا الشمالية وطرابلس[1]، في هذه الفترة كانت طرابلس من بين الموانئ التي شملتها المعاهدات المنعقدة بين بيزا في 1234م – 1313م والسلطان الحفصي أبي بكر زكريا (يحي الأول أو أبو يحي) وكانت مع السلطان المريني أبي عنان في سنة 1358م .

جعلت كل هذه العوامل حركة التبادل التجاري مشابهة للحركة الجارية مع موانئ الشمال الإفريقي حيث كانت سفن البندقية تشحن من طرابلس[2]، وكان نفوذ تجار هذه المدينة يمتد حتى السودان ما ساعدهم على تسير القوافل التجارية[3]، فكانت المبادلات التجارية أو أعمال القرصنة هي العنصر المميز للعلاقات التي كانت تجري بين دول الشمال الإفريقي وأوروبا، وخاصة خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر، وكل ذلك وفقا للشروط التي وجب اتباعها .

لكن الإخلال بهذه الشروط كان سبب أدى إلى تزايد عنف النشاط القرصني خلال النصف الثاني من القرن الرابع عشر[4]، وقد كان من بين أهم الأسباب التي أدت إلى نشوب الصراع البحري

[1]- إيتوري روسي، المصدر السابق، ص ص: 155-156.
[2]- نفسه، ص: 157.
[3]- محمد مصطفى بازامة، المرجع السابق، ص: 23.
[4]- ايتوري روسي، نفسه، ص: 109.

بين المسحية والإسلام التعصب الديني، وكذا السيادة الدولية التي إنجر عنها مهاجمة السفن من أجل الاستحواذ على ما يوجد بها من غنائم[1].

وكمثال على ذلك توجد عدة نماذج عن حوادث القرصنة بطرابلس، وعن وقائع الاختلافات البحرية بين الطرفين نذكر منها:

1- استيلاء القشتالي جاسبيريدي كاستيلنو سنة 1305م في طرابلس على سفينة محملة بقيمة 05 ألاف من البضائع و التي اتجه بغنيمتها إلى جزيرة بنشالاريا في بلدة قوصرة.

2- مغادرة سفينة سنة 1480م تابعة للبندقية محملة بالبضائع فتم اغتيالها من قبل العرب بحيث قتلوا رجال السفينة واستولوا عليها ونقلوها إلى طرابلس[2].

تعتبر العلاقات بين دول إفريقيا الشمالية والموانئ المسيحية عامل مباشر ،سهل وزاد من توثيق الروابط بين ضفتي البحر المتوسط ،وقد كانت في غضون قرون سابقة أقوى ترابطا من الفترة المذكورة التي ظهر فيها احتلال الإسبان لطرابلس.

[1]- محمد مصطفى بازامه، المرجع السابق، ص: 20.

[2]- إيتوري روسي، المصدر السابق، ص: 161.

الفصل الأول

السيطرة الإسبانية على مدينة طرابلس الغرب

1– الإحتلال الإسباني لطرابلس.

1–1– الظروف الممهدة لاحتلال إسبانيا لطرابلس.

1–2– دخول إسبانيا لطرابلس ونشاطها بها.

2– الحملات الإسبانية على مدينة طرابلس الغرب.

2–1– نزول دون غارسيا على جزيرة جربة.

2–2– تحركات الإسبان من جزيرة جربة إلى جزيرة قرقنة.

1- الإحتلال الإسباني لطرابلس:

1-1- الظروف الممهدة لاحتلال إسبانيا لطرابلس:

كانت إسبانيا تضم كل من مملكتي قشتالة وأراغون، فكانت الأولى بزعامة ملك أراغون فردناند،أما الثانية فكانت بزعامة الملكة القشتالية إيزابيلا[1]، وبعد اتحاد هاتين المملكتين سنة 847هـ عملتا على طرد المسلمين من غرناطة والقضاء على وجودهم بصفة نهائية من إسبانيا[2]، وكان ذلك من خلال تدمير آخر معقل للمسلمين ألا وهو غرناطة التي سقطت سنة 1492م[3].

تميزت نزعة الاحتلال بين الطرفين أي (المسلمون، المسيحيون) بتمحور رغبة المسلمين في نشر الدين الإسلامي في كل مكان والدفاع عنه ضد أي قوة معادية له، أما المسيحيون فبإرادتهم القوية في نشر النصرانية في كل أرجاء العام، وكذا الدفاع عن المراكز المسيحية كي لا يعمها الإسلام حتى وإن فرض عليهم ذلك بالحرب[4].

برزت الدولة العثمانية كقوة مسيطرة ذات نفوذ واسع في البحر المتوسط، في الوقت الذي كان الهدف الأسمى للإسبان هو الانتقام من المسلمين والزحف على سواحل الشمال الإفريقي ومهاجمتها، وهو ما أثار مخاوفهم اتجاه هذه الدولة الفتية التي سوف تحد من نشاطهم وتعرقل مشاريعهم فعمدوا

---

[1]- محمد علي قطب، مذابح وجرائم محاكم التفتيش في الأندلس، د. ت، ص، 120.

[2]- نبيل عبد الحي رضوان، جهود العثمانيين في الحد من التهديد البرتغالي للنشاط التجاري في الخليج العربي من خلال الوثائق العثمانية، جامعة أم القرى، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية، د .ت، ص، 30.

[3]- رشيد الناضوري، تاريخ المغرب الكبير (العصور القديمة وأسسها التاريخية الحضارية والسياسية، د.ط، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م، ص:12.

[4]- عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، ج02، ط01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005م، ص: 43.

إلى اتخاذ طرابلس مركزا أو قاعدة من أجل التصدي لهذا الخطر المحدق[1]، كونها أقرب نقطة لمساندة الجيوش التي تغزو الشرق، ولإمكانياتها على رد الهجمات، ولوفرة ثرواتها ورفاهية عيشها، التي أغرت الإسبان للاستيلاء عليها واحتلالها[2].

استفادت إسبانيا من النزاع الذي كان بين أحمد الحفصي ووالده الناصر الذي استنجد بهم على أبيه،وهو ما سهل لتجار إسبانيا القدوم إلى طرابلس ،الذين وصفوها من ناحية الدفاع والثروات وقالوا لملكهم على حد تعبير ابن غلبون: " ما شهدنا بلدا أكثر منها مالا وأقل سلاحا وأعجز عن مدافعة العدو"، وهو ما جعل الاسبان يعجلون باحتلالها[3].

هنا ظهر فرح أوروبا المسيحية لهذا الاستيلاء ،ما جعل ملوك اسبانيا يركزون على الحملات الإفريقية[4]، أين ظهر الكردينال خمينس ورئيس الوزراء فرديناند الكاثوليكي كداعيين لهذه الحملات الصليبية، فاستولى الاسبان في سبتمبر 1505م على المرسى الكبير وسيطر بيدرو نافارو [5] في 17 مارس 1509م على وهران والمرسى الكبير وفي 05 جانفي 1510م احتل مدينة بجاية[6].

[1]- ابن غلبون، المصدر السابق، ص ص: 134-135.

[2]- الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، ط4، دار المدار الإسلامي، بيروت، د.ت، ص: 279.

[3]- ابن غلبون، المصدر نفسه، ص: 136.

[4]- محمد مصطفى بازامه، المرجع السابق، ص: 69.

[5]- بيدرو دي نافارو: ولد سنة 1460م، كان رجلا مفطورا على المغامرة والمجازفة اشتغل بالقرصنة البحرية، وكذلك كمهندس عسكري أثناء إعادة احتلال مملكة نابولي أسندت إليه سنة 1509م قيادة الحملة على وهران، (إيتوري روسي، المصدر السابق، ص: 168).

[6]- ايتوري روسي، المصدر نفسه، ص: 168.

وفي الوقت الذي تحولت فيه وهران إلى مركز لنشاط الإسبان في الشمال الإفريقي[1]، كانت بجاية تعاني من المرض الذي انتشر بها وأثر على القوات الاسبانية، فكان هذا سببا جعل بيدرو نافارو يغادر المدينة ،بعد أن ترك بعضا من جنوده بقيادة مساعده، وقد كانت وجهته طرابلس[2].

في هذه الأثناء تلقى الكونت بيدرودي نافارو رسالة من الملك فرديناند ذكره فيها بمجريات الحملة وكان محتواها حسب ما ذكره إيلي دي لابريمودي:

إلى الكونت بيدرو نافارو قائدنا العام ومستشارنا: "استلمت رسائلكم الثلاثة المؤرخة في 03 ماي والتي بعثتم بها عن طريق بلنسية، كما استلمت الرسالة الأخرى المؤرخة في 05 ماي والتي سلمتها إلى كبير ياوران ميجول كابريرا، وقد أمرت أن يكتب إلى الونزو سانشيز حتى يطحن بأسرع ما يمكن ألف كيس من القمح بمملكة بلنسية وعليكم أن تبعثوا بها إلى بجاية، وستستلمون كمية من البقسماط (الخبز المجفف)، كافية لتموين ثمانية ألاف رجل مدة خمسة عشر يوما، وبما أن المواد الغذائية ليست متوفرة في هذا الوقت ببلنسية، فقد كتبت إلى خازن أموال مالقا وفرقاص أطلب منه أن يرسل إليكم المؤونة كي تتزودو بها وقت الحاجة، ويكون في استطاعتكم السفر إلى طرابلس وأن يرسل إليكم عشرة ألاف دوكات، وعند وصولكم إلى صقلية إن شاء الله ستجدون كل ما أنتم في حاجة إليه.

وأعتقد حسبما أعلمتموني في عدة مناسبات، أنه إذا أردنا الاستقرار في إفريقيا ينبغي أن نحتل مدن وهران وبجاية وطرابلس، وإذا آلت هذه الأخيرة إلى أيدينا أن نسكنها بأكملها بالمسيحيين، لأن

[1]- محمود علي عامر ومحمد خير فارس، تاريخ المغرب العربي الحديث (المغرب الأقصى ليبية)، ج01، د.ط، د.ت، ص: 82.
[2]- عمر محمد الباروني، الاسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس، د.ط، د.ت، ص: 28.

المغاربة هم أصحاب كل ما تبقى من البلاد وإذا سمحنا لهم بالإقامة في مدن السواحل فلن نتمكن من الاحتفاظ بمملكتنا زمنا طويلا، ويجب أن تكون الأماكن الثلاثة، إذن وانتظارا لما هو أحسن، محفوظة بحماية قوية بين المسيحيين ولا يسمح لأي عربي بالدخول إليها، والمهم إتباعه التموين..." فرديناند[1].

وأثناء تلقي بيدرو دي نافارو لهذه الرسالة اتجه إلى بجاية في 07 يونيو بقوة تعدادها ثمانية ألاف رجل، وسار إلى فافينياتا ليتلقى السفن القادمة إليه من نابولي وصقلية، وبعض الجنود الايطاليين، حتى تسانده في الهجوم على طرابلس بقيادة نائب الملك بصقلية[2].

وفي 15 يوليو 1510م انطلق الأسطول من فافينياتا وقد مر بجزيرة غوزو بمالطا والتي تزود منها بالماء، حيث التحق به بعض المالطيين لمعرفتهم بطرابلس وسواحل الشمال الإفريقي[3]. وكان من بين هؤلاء المالطيين الخبير جوليانوبيلا، وكانت أخبار هذه الحملة قد انتشرت ووصلت إلى طرابلس عن طريق التجار الجنويين، وذلك قبل بدئها بقرابة شهر، وهو ما جعل الناس يهاجرون إلى غريان وتاجوراء ومسراتة، ولم يبق بالمدينة إلا المحاربون وشيخها عبد الله ابن شرف وأهله[4].

[1]- شارل فيرو، الحوليات الليبية،تح:محمد عبد الكريم الوافي، ط3، جامعة قاريونس، بنغازي،1994م، ص ص: 73-74.
[2]- ايتوري روسي، المصدر السابق، ص: 169.
[3]- نفسه، ص: 169.
[4]- ابن غلبون، المصدر السابق، ص: 137.

كانت هذه الحملة تتكون من 120 قطعة بحرية، إضافة إلى سفن من مالطة وخمسة عشر ألف جندي اسباني وثلاثة ألاف جندي ايطالي[1].

يمكن القول أن الظروف الداخلية لدول الشمال الإفريقي هي التي فتحت الأبواب أمام إسبانيا التي أرادت أن تتوغل داخل مدنها، فقد احتلت وهران سنة 1508م، وبالتالي فقد فتحت الباب على مصرعيه إذ كانت آنذاك تمهد لإحتلال طرابلس وحقا تم لها ذلك سنة 1510م.

1-2- دخول إسبانيا لطرابلس ونشاطها بها:

في 25 جويلية 1510م كان الأسطول الاسباني قد اقترب من مدينة طرابلس ورسى بمينائها،وهذا اليوم يصادف عيد القديس يعقوب الذي كان محترم عند الاسبان[2].

بعد ذلك شرع الكونت بيدرو دي نافارو في ترتيب الجيش وإصدار الأوامر، حيث كلف أربعة ألاف جندي بمهاجمة العرب خارج المدينة، وذلك لمنع الاتصال بينهم وبين من بداخلها،وأمر باقي الجيش بالمهاجمة داخل المدينة ومن على الأسوار وفي القلاع، وانطلق الهجوم صباحا ووجهت السفن الاسبانية مدافعها على كل من قصر الحكومة والأسوار[3]. وبسبب القصف الشديد تمكن الإسبان من اختراق الصور، حيث فتحت إحدى الأبواب في الساعات الأولى من النهار، وتمت السيطرة على القلعة وبعض النقاط الرئيسية في طرابلس رغم المقاومة والدفاع من قبل الطرابلسين[4].

---

[1]- خليفة محمد التليسي، حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب، ط03، دار الكتب الوطنية، ليبيا، 1997م، ص: 67.

[2]- شارل فيرو، الحوليات الليبية، المصدر السابق، ص: 77.

[3]- ابن غلبون، المصدر السابق، ص: 137.

[4]- محمود علي عامر ومحمد خير فارس، المرجع السابق، ص: 149.

هذا ما جعل الأهالي يضطرون إلى التخلي عن المدينة للكونت بيدور دي نافارو، الذي سار باتجاه السراي[1]، حيث يقيم شيخ المدينة عبد الله أين تم أسره هو وعائلته وبعض أنصاره[2].

كللت حملة الاسبان بالنجاح في يوم 25 جويلية 1510م، حيث وجه الكونت بيدرو دي نافارو رسالة إلى ملك صقلية والتي جاء فيها ما يلي:

"سيدي ... إن هذه المدينة هي أكبر في واقعها مما كنت أتصور ورغم أن الذين يشيدون بها يتحدثون عنها حديثا حسنا، إلا أنني أقول: إنهم لم يقولوا نصف الحقيقة سواء كان ذلك فيما يتصل بتحصيناتها أم نظافتها، حتى تبدو المدينة مدينة إمبراطور أكثر من أنها مدينة لا تنتمي لأي ملك خاص"[3].

وكان من نتائج هذه الحملة مقتل ستة ألاف قتيل طرابلسي رميت بعض جثثهم في البحر وأحرق بعضها الآخر، إضافة إلى أسر أزيد من خمسة عشر ألف شخص تم بيعهم عن طريق المزاد العلني بثلاث وخمسين دوكات للأسير الواحد[4]، وبعد هذه المرحلة تمكن الاسبان من الاستحواذ على سفينة تركية كانت قادمة من المشرق محملة بالبهارات، إضافة إلى عدد من سفن اليونان والإسكندرية والتي كانت محملة بالبضائع[5].

[1]- السراي: هو القلعة التي بناها الأفارقة في موضع بناء روماني قديم(شارل فيرو، المصدر السابق، ص:77).

[2]- شارل فيرو، نفسه، ص: 76.

[3]- خليفة محمد التليسي، المرجع السابق، ص: 68.

[4]- ابن غلبون، المصدر السابق، ص: 139.

[5]- شارل فيرو، المصدر نفسه، ص: 77.

قد سهلت هذه العوامل على الاسبان نهب وتخريب المدينة وتهجير أهلها وإقامة أسوار على أنقاض الأسوار القديمة، وبالتالي تبديل أجزاء مهمة في هيكلة مدينة طرابلس ومعالمها[1]، ويظهر ذلك في الوصف الذي قدمه باتستينو دي تونسيس:"تقع مدينة طرابلس في سهل منبسط وهي مربعة الشكل، يحيط بها صور يبلغ امتداده أكثر من ميل، لها صوران مزدوجان تحف بهما خنادق منخفضة وضيقة، الصور الأول فصيل منخفض أما الصور الثاني فهو مرتفع جدا وضخامته متناسبة مع الأبراج، وهي ذات مواقع دفاعية ضخمة ومحاطة بالبحر من جهاتها الثلاث، ولها ميناء ممتاز قادر على إيواء أربعة مائة سفينة ومراكب من ذات المجاديف، ومن أجل ذلك كان ضياع هذه المدينة مبعثا للأسى والأسف ..."[2].

فقد كان لهذه المدينة خندق محفور يحيط بها من جهة البحر، وجسر متحرك للعبور للقلعة، أما السراي الموجود بها فقد كان مركزا لحاكم المدينة[3]، وكانت رحلة العياشي مؤكدة لهذا إذ يقول: " لهذه المدينة بابان باب إلى البر والآخر إلى البحر لأن البحر يحيط بكثير من جهاتها، والحصن الذي فيه الأمير متصل بالمدينة من ناحية باب البر ..."[4].

[1]- محمود علي عامر ومحمد خير فارس، المرجع السابق، ص: 150.

[2]- ايتوري روسي، المصدر السابق، ص: 172.

[3]- محمود علي ومحمد خير فارس، المرجع نفسه، ص: 151.

[4]- عبد الله ابن العياشي، الرحلة العياشية، 1661م-1663م، تر: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، م01، ط01، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، 2006م، ص: 135.

أما التيجاني فقد وصفها بقوله: " كاد بياضها من شعاع الشمس يعشي الأبصار فعرفت صدق تسميتهم لها بالمدينة البيضاء ... ورأيت بسورها من الاعتناء، واحتفال البناء ما لم أره لمدينة سواها"[1].

فقد كان الاحتلال الاسباني مقتصرا على مدينة طرابلس وعلى قلعتها،وقد نجح في السيطرة عليها وتمكن من الحد من علاقاتها بين الشرق والغرب والبحر والبر، وقد مثل الإحتلال مرحلة انهيار وضعف لهذه المدينة رغم توسطها لحركة الملاحة البحرية التجارية[2].

تميزت فترة الاحتلال الاسباني لطرابلس بممارسة الاضطهاد والأعمال التعسفية ضد الأهالي الذين فرضت عليهم الضرائب بدلا من الالتفات لتسوية أمور البلاد، فقد دخلت البلاد في أزمات اجتماعية فادحة لانشغال الأهالي بصد الهجمات الاسبانية فأهملوا أمر تحصينها، وفي هذه الأثناء استقرت أسرة الحسن الوزان بغرناطة لكن بمجيء فردناند الخامس وإيزابيلا قاما بمطاردة المسلمين من بلادهم، وكانت هذه الأسرة ضمن المطاردين من اسبانيا، فارتحلت نحو شمال إفريقيا[3].

[1]- أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التيجاني، رحلة التيجاني، د .ط، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس، 1981م، ص ص: 237-238.

[2]- خليفة محمد التليسي، المرجع السابق، ص ص: 70-73.

[3]- الحسن بن محمد الوزان الفاسي(ليون الإفريقي)، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج1، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م، ص: 20.

ويذكر محمد الباروني أن الحسن ابن محمد الوزان قام برحلة إلى مدينة جربة وصف لنا فيها طرابلس قائلا:" أنه وجد المدينة تسترجع أدراجها من ناحية العمران وكذا مزاولة سكان المدينة لأعمالهم"[1].

دخلت اسبانيا لطرابلس الغرب وفق خطة مدروسة ومنظمة إذ تمكنت من السيطرة عليها في ساعات قليلة حيث تكبدت خسائر مادية وبشرية، كان لها أثر سلبي على الأهالي الذين أخلو المدينة للقادة المسحيين، كيف لا ومدينة طرابلس هي الأخرى التي نالت إعجاب الكثير من المؤرخين ممن كتبوا عليها قبل أن تحتل من طرف الإسبان .

[1]- عمر محمد الباروني، المرجع السابق، ص: 62.

2- الحملات الاسبانية على طرابلس:

2-1- نزول دون غارسيا على جزيرة جربة:

بعد دخول الكونت بيدرو نافارو إلى طرابلس الغرب استطاع أن يحتلها ،رغم المقاومة الشديدة التي أبداها أهلها، بعدها أراد التوجه نحو جزيرة جربة رغبة منه في فرض سيطرته عليها.[1]

كانت جزيرة جربة تخضع خضوعا مباشرا للحفصيين تابعة لها اسمية مستقلة عنها سياسيا في تلك الفترة، وبهذا أمل الكونت بيدرو دي نافارا في السيطرة عليها دون اخضاعها لأية مقاومة، فقد قام بتجهيز أسطول يتكون من إثنا عشر سفينة وتوجه نحوها يوم 20يوليو 1510م، وذلك بعد أن فوض شؤون طرابلس الداخلية إلى بيدرو ريكيسنس وهو أحد رجاله، وأثناء وصول الأسطول إلى جربة قام قائد الحملة بتكليف ثلاثة من أعيانه الذين كانوا يتقنون تكلم اللغة العربية حاملين بأيديهم أعلاما بيضاء تدل على أنهم قدموا من أجل التفاوض[2].

تتفق أغلب المراجع على أن أهل جزيرة جربة أخذوا موقفا من هذا الفعل، حيث عملوا على تجهيز أنفسهم للوقوف في وجه العدو ومن أجل الدفاع والمقاومة وحماية مدينتهم، وذلك لسماعهم بفاجعة الاحتلال الاسباني لطرابلس، فقاموا بتكليف أعيان من المدينة بالتقدم نحو الميناء الذي كانت السفن الاسبانية راسية به، موجهين خطابا لهم بأنهم يفضلون الموت على التسليم تحت أي شرط كان

[1]- نمير طه ياسين، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ط01، دار الفكر ناشرون وموزعون، عمان، 2009م، ص ص: 100-101.

[2]- شارل فيرو، المصدر السابق، ص: 79.

رافضين التفاوض معهم[1]، فتخوف بيدرو دي نافارا من قوة وعزم أهل الجزيرة وظن أنه سيواجه معركة ليست بالسهلة كما كان يبدو له، ولذلك قرر الانسحاب والرجوع من جربة[2].

عاد الكونت رفقة جنوده إلى طرابلس يوم 09 أغسطس 1510م راغبا في حصار جربة مرة ثانية وإنزال عقاب فادح بها، لذلك ترك عدد من جيشه على متن سفنه ولكن ولحسن حظه ساءت أحوال الطقس في تلك الليلة التي منعته من مغادرة الميناء، فاضطر إلى البقاء رفقة جنوده داخل السفن حتى يوم 23 أغسطس 1510م.

في الوقت الذي لا يزال أسطول بيدرو دي نافارا متواجد بمرسى الميناء لوحظت خمسة عشر سفينة في عرض البحر يقودها غارسيا الفاريز الطليطلي، ألا وهو دوق ألبا رفقة أخوته وعمه فرديناند،ومع كم هائل من الفرسان وكذا العقيد فرانشسكو ماركيز قائد المدفعية

وتتفق المصادر أنهم وصلوا مرهقين جدا وذلك إثر تعرضهم لعاصفة قوية خلال أيام عدة وأنهم نزلوا على اليابسة لاسترجاع قواهم وليرتاحوا من تعبهم[3].

اتجهت يوم 27 أغسطس 1510م كل السفن التي كانت متواجدة داخل الميناء نحو جزيرة جربة، من أجل ارتكاب مجازر أخرى في حق أهالي هذه المدينة، وقد ترك بيدرو دي نافارو ما يقارب ثلاثة ألاف جندي بقيادة القائدين سامنياقو وسالومينو، وقد رسى الأسطول يوم 29 أغسطس من نفس السنة أمام الجزيرة فقام جنودها بمهاجمة السواحل، حيث بلغ عدد الجيوش الاسبانية في هذه

[1]– عمر محمد الباروني، المرجع السابق، ص:51؛ ابن غلبون، المصدر السابق، ص: 143.

[2]–عمر محمد الباروني، نفسه، ص: 51.

[3]–شارل فيرو، المصدر السابق، ص: 79.

الفترة إحدى عشر طابورا، وقامت جنود هذه الحملة بوضع مدافع من الحجم الكبير والمتوسط وكلفوا بعض رجال البحرية من تقديم هذه المدافع نحو الأمام[1].

بعد أن تم استكمال انزال جميع الجنود وتقربهم من برج المراقبة، تقدم دون غارسيا الطليطلي على جواده رفقة جنديين أحدهما كان يحمل بيده رمحا والثاني بيده حربة قتال قصيرة. هنا أصر عم دوق ألبا ألا وهو فردناند على الانضمام إلى ابن أخيه بالرغم من المرض الذي كان يلازمه إلا أن دون غارسيا أبى ذلك تخوفا من زيادة مرضه خلال الحملة.

والذي خاطبه بقوله: "يا سيدي العم، إنه يتحتم عليا أن نقاتل اليوم بكل جدية فلماذا ترغبون سعادتكم في القدوم إلى حيث يقتضي الأمر منا مقاتلة المغاربة لارعاية شخصيتكم؟" وبهذا استطاع إقناعه بملازمة مكانه.

بعد أن تم تجهيز خمسة عشر ألفا من خيرة الجنود والبحارين والمدافع من الحجم الكبير والصغير، تقدم هؤلاء نحو اليابسة وقد لقي مع منتصف النهار أغلب الجنود حذفهم وذلك بسبب العطش الكبير وشدة الحرارة المرتفعة، في حين استسلم البعض الآخر هاربين من أجل أن ينجوا برؤوسهم وبهذا يكون قائد الطليعة المدعوا فيانلوا عاجزا عن ضبط العساكر داخل صفوفهم، وكذا إخفاق دون دييجو باسشيكو المكلف بقيادة مؤخرة الجيش.

وبالرغم من كل هذه المصائب التي ألحقت بالجنود إلا أن دون غارسيا لم يتأسى لذلك بل أخذ يشجعهم ويقربهم قائلا لهم: "إنه يوجد تحت النخيل القريب عدة أبار سيكون بإمكانكم إطفاء

[1]- عمر محمد الباروني، المرجع السابق، ص: 53.

ظمئكم بمياهها"، وبهذا استطاع هذا الأخير إقناع الجنود فواصلوا مسيرتهم حتى وصولهم إلى بساتين شاسعة بها آبار من المياه[1].

ثم تدبير خطة محكمة من قبل أهل الجزيرة اتجاه الغازي المحتل، وأرادوا أن يغيروا عليهم في وقت ضيق وذلك رغم قلة إمكانياتهم سواء من ناحية العتاد أو عدد الجنود، فقاموا بترك لوازم قرب هذه الآبار مثل: حبال وقلل فارغة ليستخرجوا بها المياه من الآبار، وبهذا استغل أهل جربة تقدم الجنود لإطفاء ظمئهم ملهفين على الماء فهجموا عليهم بالسيوف والرماح[2]، هذا ما جعل الجنود الاسبان يفرون بحيث ظل دون غارسيا يصارع لوحده إلا أنه لم يصمد كثيرا أمام كثرة أعدائه،حيث لفظ آخر أنفاسه وتوفي.

بعد توالي هذه الانهزامات أخذ الكونت دالفيتو يقوي عزيمة الجنود قائلا: "ما هذا يا أبنائي أسود إسبانيا؟ ... عودوا على أعقابكم ... عودوا على أعقابكم إنني هنا فلا تخافون ... إن المغاربة لا يساوون شيئا، كيف يا أبنائي، ألا تعرفون هؤلاء الأوغاد، ألستم أنتم هم الذين هزمتموهم في العديد من المرات، ليس من عادتكم أن تسلكوا هذا المسلك المشين".

فكانت قيمة الخسائر لدى صفوف الجيش الإسباني كبيرة،بحيث بلغ عدد موتاهم 1500 رجلا و حوالي 100 شخص توفي عطشا[3]، فلم يكن للاسبان حل نتيجة الهزائم التي ألحقت بهم سوى الانسحاب من مدينة جربة رفقة ما بقي من الجنود نحو السفن الراسية في الشواطئ ،يغمرهم

[1]- شارل فيرو، المصدر السابق، ص ص: 80-81.
[2]- عمر محمد الباروني، المرجع السابق، ص ص: 55-56.
[3]- شارل فيرو، المصدر نفسه، ص: 82.

الخوف والذعر متجهين نحو طرابلس في 31 أوغسطس 1510م، وتأخر وصولهم لها حتى 19 سبتمبر 1510م نتيجة للعواصف التي اعترضت البحر[1].

أبدى أهل جزيرة جربة جهودا مضنية للدفاع عن مدينتهم ورغم ذلك لم ييأس المسحيين من الإغارة عليها مرارا وتكرارا لينتهوا في آخر المطاف للانسحاب منها بعد الهزيمة التي ألحقت بهم.

2-2- تحركات الإسبان من جزيرة جربة إلى جزيرة قرقنة:

تقع جزيرة قرقنة قرب صفاقس وتحتوي على عدة قرى صغيرة، وهي تتميز بأمواجها العالية التي تجعل رسوا السفن بها صعبوهي تابعة لجربة، كما أن معظم سكانها بحارة، ارتبطت بالدولة العثمانية في إطار الصداقة إضافة إلى اشتراكهم في عمليات السطو والقرصنة، وكانت سلطة المسيحيين هي المسيطرة على هذه الجزيرة.

في عام 1510م عاد الكونت بيدرو نافارو إلى طرابلس بعد انهزامه على يد سلطات جربة، لكنه أغار عليها ثانية[2] بأسطول تكون من ستين وحدة[3]، وكان قد أقسم أنه سيلحق بالعرب أشد الأضرار، لكنه لم يوفق في ذلك بسبب العاصفة الهوجاء التي هبت وخربت وحداته، وقد كادت أن تغرق سفينته، إلا أنه لم يستسلم وحاول الكرة مرة ثانية، أين داهمته عاصفة أخرى أغرقت العشرات من سفنه، وتسببت في قتل الكثير من جنوده، أما الجنود الذين حالفهم الحظ فقد نزلوا بجزيرة قرقنة التي كانت مهجورة وذلك للتزود بالماء والمؤن.

[1]- عمر محمد، الباروني، المرجع السابق، ص: 57.

[2]- مارمول كربخال، إفريقيا، تر: محمد حجي وآخرون، ج03، د.ط، الجمعية المغربية، الرباط، 1984م، ص ص: 101-102.

[3]- شارل فيرو، المصدر السابق، ص: 84.

في يوم 21 فيفري 1510م طلب العقيد فيانيلو من الكونت بيدرو دي نافارو الإذن من أجل التمركز بهذه الجزيرة، فكان له ما طلب حيث باشر بتطهير أبارها، وإقامة المنشئات العسكرية بمساعدة أربعمائة وخمسون جندي من خيرة الجنود، لكل خلال هذه الفترة لم يلتزم أحد الجنود بأوامر العقيد فيانيلو فقام هذا الأخير بشتمه وضربه كما أنه نتف لحيته[1].

كان هذا الحادث سبب جعل الجندي يفر حيث التحق في الليل بجماعة من العرب كانوا يتمركزون بالقرب من الجزيرة، وقد أطلعهم على نيته في اعتناق الإسلام إضافة إلى مساعدته لهم في القضاء على المسيحيين الذين كانوا يحرسون الآبار، فكان هذا دافع جعل العرب يرحبون بالجندي إذ قادهم نحو الآبار، فقتلوا الحراس وتسللوا إلى المنشئات التي كانوا يحتمون بها وقد تمكن العرب من إبادة جنود العقيد جميعا ما عدا ثلاثة منهم.

وقد بعث أحد الجنود كهدية إلى ملك تونس ،وبعث الثاني إلى شيخ جربة وكان الثالث قد أصيب بجرح بليغ، وخلال هذه المرحلة قدم عشرين جندي كانوا قد كلفوا بجلب المؤن من الأسطول البحري، لكن هؤلاء الجنود بمجرد وصولهم إلى الجزيرة سمعوا أصواتا غريبة حيث اضطروا إلى الاختباء وكان العرب قد نجحوا في القضاء على الجنود المسيحيين.

[1]–شارل فيرو، المصدر السابق، ص: 84.

التحق الجندي المصاب برفقائه وأطلعهم بما جرى، بعدها اضطر الكونت بيدرو دي نافارو إلى النزول مع بقية جنوده إلى الأرض حيث تحسر على جنده[1]، بعد ذلك نزل الكونت بجزيرة كابري رفقة أسطوله وجيشه الذي كان قد تبعثر وزال بعد الهزيمة التي لحقت به في جزيرة قرقنة[2].

بعد تيقن الإسبان المسحيين من فشل محاولاتهم في الإستلاء على جربة، اتجهت أنظارهم نحو جزيرة قرقنة، فقام العقيد فيانيلو بعدة تجهيزات بها واستوطنها لكن الأمور حالت دون علمه، لما أساء السيطرة على أحد جنوده الذي فر وهتك بسره، وأطلع أهل جربة على نواياها معهم الأمر الذي ألب عليها العرب الذين ألحقوا به وبجنوده هزيمة شنعاء أعاقت تحركاته فنزل بجزيرة كابري.

[1]- مارمول كربخال، المرجع السابق، ص ص: 102-103.

[2]- ايتوري روسي، المصدر السابق، ص: 180.

الفصل الثاني

فرسان القديس يوحنا وحملات شارلكان

1- الظروف السياسية التي أجبرت اسبانيا على التنازل عن طرابلس لفرسان القديس يوحنا:

1-1- لمحة عن فرسان القديس يوحنا ونشاطهم.

1-2- بوادر تنازل اسبانيا عن طرابلس للفرسان.

2- حملة شارلكان على تونس 1535م.

2-1- الاستنجاد التونسي بشارلكان.

2-2- الجهود السياسية لشارلكان بتونس.

3- حملة شارلكان على الجزائر 1541م.

3-1- مرحلة الاحتلال.

3-2- مرحلة الصراع مع الأهالي الجزائريين.

3-3- مرحلة الضعف.

1- الظروف السياسية التي أجبرت اسبانيا على التنازل عن طرابلس لفرسان القديس يوحنا:

1-1- لمحة عن فرسان القديس يوحنا ونشاطهم:

كان بيت المقدس[1] هو مركز ظهور منظمة فرسان القديس يوحنا أثناء الحروب الصليبية ،والتي باشرت عملها بالدعوة إلى الخير والتمسك بالمسيحية وإعانة المعوزين والمحتاجين[2]، وقد كان للحروب الصليبية أثر فعال في تحول هذه الهيئة إلى منظمة دينية فرسانية، وذلك بحماية القديس يوحنا باتيسيا والذي لقب أعضائها باسم الاسبارتيه[3] نسبة إلى الأعمال الاستشفائية[4] التي كانوا يزاولونها، أما في بعض الحالات فقد كانوا يعرفون باليوحانيين أصحاب المهام العسكرية الذين عملوا وركزوا على الدفاع عن الأراضي المقدسة ضد المسلمين، واقتطعوا لأنفسهم بعضا من الأراضي التي كانت مقرا لثكناتهم وتنظيماتهم العسكرية[5].

وفي سنة 1187م نجح صلاح الدين الأيوبي بعد تحريره لبيت المقدس من المسيحيين من طرد هذه المنظمة من القدس[6]، والتي لجأت إلى عكا[7] واستقرت بها إلى غاية 1291م أين تم نفيهم ثانية

---

[1]- عمر عبد السلام تدمري، تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور، ج01، د.ط، دار البلاد، طرابلس، د.ت، ص: 284.

[2]- ابن غلبون، المصدر السابق، ص: 147.

[3]- محمد العروسي المطوي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، ط02، د.ط، دار الغرب الإسلامي، 1989م، ص: 95.

[4]- محمود سعيد عمران، حضارة أوروبا في العصور الوسطى، د.ط، دار المعرفة الجامعية، بيروت، 1998م، ص: 112.

[5]- ايتوري روسي، المصدر السابق، ص: 189.

[6]- أحمد باقي عبد الله مبارك، هجرة الحروب الصليبية، د.ط، مجلة الهجرة، د.ت، ص ص: 20-21.

[7]- ممدوح حسين، الحروب الصليبية في شمال إفريقية وأثرها الحضاري سنة 668هـ-792هـ 1270م-1390م، ط01، 1998، دار عمان للنشر، عمان، د.ت، ص: 24.

إلى جزيرة رودس والتي أقاموا بها مملكة مسيحية بمساعدة من البابا والملوك المسيحيين، وهذا ما زاد من سيطرتهم على الجزر المحاذية لرودس وجزر الدوديكانيز[1].

برز خلال هذه المرحلة نشاط المنظمة من خلال القرصنة البحرية التي كانت ضد سفن المسلمين، ومكنتهم من التحول إلى قوة بحرية ساهمت في عرقلة النشاط العسكري البحري للعثمانيين، حيث أقدم السلطان العثماني سليم الأول[2] في ديسمبر 1522م على طردهم من هذه الجزيرة، وذلك بعد حصارها قرابة ستة أشهر، وهو الأمر الذي أدى بالفرسان إلى الاستسلام والانسحاب من رودس، حيث ظهر دعم البابا للفرسان وذلك من خلال مطالبته للملك الاسباني شاركان بمنحهم جزء من مملكته[3].

1-2- بوادر تنازل اسبانيا عن طرابلس للفرسان:

كانت الظروف الصعبة التي مرت بها قوات شارلكان سبب جعل هدا الأخير يقرر منح فرسان القديس يوحنا طرابلس لأسباب عدة نذكر منها:

- ضمان كسب عطف وتأييد المسيحيين له والالتفاف حوله.
- التخفيف من الضغط المركز على قواته في الشمال الإفريقي.
- انشغاله بالحرب مع فرنسا.

---

[1]- عمر محمد الباروني، المرجع السابق، ص: 75.

[2]- سليم الأول: لقب بياوز ومعناها القاطع، كان من سلاطين الدولة العثمانية الأوائل، سافر بجيوشه إلى بلاد آسيا لمحاربة إخوته وأولاد إخوته، بعد ذلك ولى ابنه سليمان حاكما على القسطنطنية (محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تح: إحسان حقي، ط01، دار النفاس، بيروت، 1981م، ص: 188).

[3]- عمر محمد الباروني، المرجع نفسه، ص: 79.

- تطبيقه لوصايا آبائه بمحاربة الفرسان لمسلمي شمال إفريقيا.

فقد كان عمل شارلكان مركز على التخلص من طرابلس لجعل مالطة مركز روحي للفرسان وطرابلس الغرب مقر عسكري، وهو الأمر الذي أظهر تردد المرشد الأكبر فليرس دي لسلي آدم وتخوفه من ناحية القبول بطرابلس الغرب، وذلك بسبب الهجوم المتوقع من ناحية الترك إضافة إلى المواجهة التي تنتظرهم من طرف الطرابلسيين[1].

وهو ما جعل شارلكان يلجأ إلى الضغط على فرسان القديس من أجل الموافقة على عرضه، وذلك من خلال التوقيع على وثيقة التسليم من طرف مجلس المنظمة ،والذي بادر بإرسال وفد مكون من ثمانية فرسان للذهاب إلى مالطا وقوزو وطرابلس من أجل الاطلاع على ما لهذه المدن ولتقديم تقرير وافي[2] من ناحية الحصون والأساليب الدفاعية والمواقع الإستراتيجية لهذه المدن ،وذلك قبل الموافقة على استلامها.

بعد ذلك ذكر الوفد أن لطرابلس ميناء يصلح أن يكون مقرا لرسو أسطول صغير وقصر كبير لم ينجح الفرسان من دخوله بسبب المرض المعدي الذي كان منتشرا بها، وبعد تقديم الوفد لهذا التقرير صدرت وثيقة تسليم طرابلس ومالطة وقوزو إلى فرسان المنظمة والتي كانت بتوقيع من شارل الخامس وتضمنت:

" قد وهبنا القصر والأماكن وجزائرنا في طرابلس ومالطة وقوزو إلى منظمة فرسان القديس يوحنا لإحياء المنظمة ولاستقرارها وهي هبة خالصة عن رضا منا واقتطاعا دائما شريفا حرا ...".

[1]- محمود علي عامر ومحمد خير فارس، المرجع السابق، ص: 154.

[2]- ابن غلبون، المصدر السابق، ص ص: 149-151.

في سنة 1530م دخلت هذه المنظمة إلى طرابلس الغرب وباشرت عملها بتحصين المدينة وضمان سيطرتها الداخلية والخارجية، حيث ظهر بطش واستبداد الفرسان للأهالي، وما أكد ذلك هو إرسالهم لوفد إلى طرابلس وذلك لاستيلام المدينة من واليها فرديناند ألدوكون، وفي 25 جويلية 1535م تم التخلص من حكم الاسبان الذي دام قرابة العشرين سنة[1].

بعد تسلم فرسان مالطا مقاليد الحكم في طرابلس نصبوا القسيس جيسباري دي سانقوسا واليا عليا ،و تمكنوا من السيطرة على زنزور والمنصورية ولماية والحشان وصبراتة والزواية، وركزوا عملهم على جباية الضرائب ما جعل أهل الجهة الغربية يخضعون لها،وذلك عن طريق البر بسبب قربهم من طريق الجيوش التونسية.

في هذه المرحلة لجأ أمير تونس إلى إرسال طلب إلى والي طرابلس قصد تكوين صداقة مع منظمة الفرسان وعقد معاهدة دفاع معها ،حيث استغل والي طرابلس هذا الوضع واشترط على الأمير التونسي عدم إرسال المعونة إلى أهل تاجوراء مقابل توقيع المعاهدة بينه وبين الفرسان، بعدها تسربت أخبار هذه المعاهدة إلى قائد الأسطول التركي خير الدين بربروسا والذي عمل على طرد أنصار الحسن أمير تونس ،وذلك بعد نزول أسطوله سنة937هـ بتاجوراء أين ترك بعضا من الجنود والأسلحة بقيادة خير الدين كارمان، والذي بنى برج الدفاع وأعلن الحرب في البر والبحر على الفرسان[2]، وتمكن

[1]- الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المرجع السابق، ص: 291.

[2]- ابن غلبون، المصدر السابق، ص: 152.

من السطو على سفينتين للفرسان، فكان هذا دافعا لسكان زنزور من أجل التخلص من سيطرة واستبداد الفرسان ومن دفع الضرائب[1].

خلال سنة 938هـ/1532م علم الحسن أمير تونس بما كان يقوم به خير الدين في تاجوراء فقام بتجهيز جيش بمساعدة فرسان مالطا، والذي دعمه بالعتاد والمدافع الحربية،وذلك قصد تطبيق وعد المساعدة، وهو ما سهل على الأمير محاصرة وتطويق جيش خير الدين في زواغة وتاجوراء، وهذا ما جعل خير الدين كارمان يبعث بالنجدة إلى بربروسا ،حيث تمكن من الصمود والمحافظة على تاجوراء[2].

بعدها حالف الحظ خير الدين بربروسا من مهاجمة اسبانيا واحتلال تونس سنة 740هـ-1534م ، وقد أوكل قيادة جزء من الأسطول إلى حسن أغا نحو طرابلس، وفي الوقت الذي بعث فيه خير الدين كارمان رسالة إلى تاجوراء، التي نصت على تقديم مساعدة ومساندة القبائل الطرابلسية، كان الأمر قد سهل عليه لتطويق طرابلس وتثبيت قواته فيها[3].

بعد مرور فترة من الزمن وبالتحديد في سنة 1535م جهز شارل الخامس حملة بغية إعادة مولاي حسن إلى عرشه وملكه، وسانده في ذلك فرسان مالطة بجيشهم، وقد كان خير الدين يخطط لمداهمة طرابلس وحاميتها ليلا، إلا أن خبر هذا المخطط كان قد تسرب من طرف الجواسيس الذين أطلعوا حاكم المدينة جورج شيلنج بما يحاول خير الدين كارمان تنفيذه، حيث قام هذا الحاكم بالسهر

[1]- ابن غلبون، المصدر السابق، ص: 152.

[2]- الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المرجع السابق، ص: 294.

[3]- ابن غلبون، المصدر نفسه، ص: 153.

على حماية المدينة، حيث تمت إصابة خير الدين كارمان بإصابة بليغة أجبرته على الانسحاب هو وقواته، بعدها سارع جورج شيلنج بإرساله لسفينة شراعية إلى مالطة والتي أبلغت قيادة الفرسان بما حدث[1] وحذرتهم من إمكانية تكرار العدو لهذه الهجمات، وذلك بسبب سيطرة تاجوراء على برج القائد ولهذا استجاب مجلس فرسان مالطا لطلب هذا الأخير.

في هذه الفترة أرسل كل من أوريليو بوتيجيلا[2] وفورتوناتو (قائد أسطول القوادس الشراعية) إلى تاجوراء من أجل السيطرة على قلعة برج القائد، حيث كان حاكم طرابلس قد تحالف مع مشايخ العرب وحصل على فرقة من فرسانها، وقد تزود يوتيجيلا عند وصوله إلى طرابلس بالمدفعية والتي سهلت عليه محاصرة القلعة، فكان هذا دافع أجبر خير الدين على طلب النجدة من الأتراك، لكنه لقي معارضة من الفرسان، وهو الأمر الذي سهل على القائد بوتيجيلا التخلص من هذه القلعة، لكن تخوف بوتيجيلا من حالة هذه المدينة كان سببا جعله يفكر في إرجاعها إلى الإمبراطور شارل الخامس، وذلك بعد أن إشترط على حاكمها تقديم المساعدة للدفاع عنها ولإعادة بناء القلاع ولتحصينها، وهذا كله في حال ظهر إلحاح وإصرار شارل الخامس على بوتيجيلا للبقاء في طرابلس.

كان قرولي هو مبعوث الفرسان الذي توجه إلى الإمبراطور وأبلغه باستحالة ترك الفرسان لطرابلس وبعدم قدرتهم على إعادة تشييد تحصينها وقد منحهم هذا الإمبراطور بعض الوعود[3].

[1]- شارل فيرو، المصدر السابق، ص: 87.

[2]- ايتوري روسي، المصدر السابق، ص: 197.

[3]- شارل فيرو، المصدر نفسه، ص: 88.

في سنة 1541م طالب الفرسان شارل الخامس بتطبيق وعوده بعد أن تلقوا تحذيرا من ملك تونس بخصوص محاولة الأتراك لحصار طرابلس لكن دون جدوى، حيث لم يبالي الإمبراطور بهم وهذا ما جعل جورج شينلج يلجأ إلى ترميم وتحصين طرابلس رغم علمه بعدم القدرة على صد أي هجوم قد تتعرض له هذه المدينة[1].

[1]- شارل فيرو، المصدر السابق، ص: 89.

2- حملة شارلكان على تونس 1535م:

2-1- الاستنجاد التونسي بشارلكان:

كان قدوم خير الدين بربروسا إلى تونس سبب جعل السلطان الحفصي الحسن يلجأ إلى الاستنجاد بملك إسبانيا وإمبراطورها شارل الخامس[1]، الذي كان قد بعث بجاسوسه المدعو (أوشود) لاستطلاع الأوضاع في تونس، والذي أمده بتقرير مفصل شرح له فيه استعداد الأوضاع في تونس من أجل فتح أبوابها والسيطرة عليها[2]، والتي ذكر ابن أبي دينار أنها قد كانت في غاية الشرف وأهلها في النعيم والترف ولم يكن بلد يضاهيها[3]، وذكر العالم الألماني هابنسترايت أنها: "تعتبر القاهرة والإسكندرية وهي من أكبر مدن إفريقيا وأحسنها بناءا، وهي تقع في سهل جميل، أما موقعها فهو متميز جدا إذ يقع على حافة بحيرة تتصل بالبحر بواسطة قناة وهذا ما جعل حركتها التجارية سهلة، وقد كان مينائها يبعد عن المدينة بفرسخين، يدافع عنه حصن يعرف بقلعة حلق الوادي الذي تصدى طويلا لقوات شارلكان"[4].

---

[1]- شوقي عطا الله الجمل، المغرب الكبير في العصر الحديث (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب)، ط01، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1977م، ص: 86.

[2]- محمد العربي الزبيري، مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث، ط02، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1985م، ص: 25.

[3]- أبي عبد الله الشيخ محمد ابن أبي القاسم الرعيني القيرواني (ابن أبي دينار)، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط01، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1869م، ص: 287.

[4]- هابنسترايت، رحلة العالم الألماني أو هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس، 1145هـ-1732م، تر: ناصر الدين سعيدوني، د.ط، دار الغرب الإسلامي، تونس، د.ت، ص ص: 113-114.

وخلال هذه الفترة اعتبر شارلكان أن إلحاق تونس بالإيالة العثمانية خطر يهدد ممتلكاته بإيطاليا، فكان هذا سبب دفع به إلى تحضير حملة لمواجهة هذا الخطر[1] ولضرب الدولة العثمانية وخير الدين.

أبحر هذا لإمبراطور من مدينة برشلونة في 31 ماي 1535م بحملة صليبية ضمت ثلاثين ألفا من المقاتلين وخمسمائة سفينة، وقد كان يوم 16 جوان 1535م،هو التاريخ الذي وصل فيه هذا الأخير مع قواته إلى سواحل مدينة تونس،وفي هذه المرحلة لم تكن قوة خير الدين كافية لرد هجوم هذه الحملة العظيمة[2]، وذلك بسبب نقص عدد جنود هذا لأخير، وصراع العثمانيين مع الصفويين وعدم نجاح خير الدين في تجنيد أهل تونس[3].

بعد ذلك تمكن شارلكان من تحقيق النصر حيث استولى على حلق الوادي(وهو مرسى مدينة تونس)[4]، والذي ذكر هاينريش أنه كان مرفأ ممتازا[5]، ستظل بفضله الجيوش الاسبانية بالتراب الإفريقي قرابة أربعين سنة[6].

[1]- نور الدين حاطوم، تاريخ عصر النهضة الأوروبية، د.ط، دار الفكر، دمشق، د.ت، ص: 496.

[2]- أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492-1792م، د.ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت، ص: 231.

[3]- محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص ص: 25-26.

[4]- محمد العروسي المطوي، المرجع السابق، ص: 27.

[5]- هاينريش، سبعة رسائل محفوظة لهاينريش بارت عن رحلته إلى تونس، (1845-1846) تح: منير الفندري،د.ط، بيت الحكمة، 1987م، ص: 17.

[6]- محمد الهادي الشريف، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، تح: محمد الشاوش ومحمد عجينة، ط03، دار سراس للنشر، تونس، 1993م، ص: 65.

2-2- الجهود الساسية لشارلكان بتونس:

استعد الإمبراطور شارلكان للزحف نحو تونس ومهاجمتها، والتي نجح ودخلها سنة 1535م حيث أعاد الملك الحفصي الحسن إلى سلطته وأبرم معه اتفاقا سمي بمعاهدة الخزي والعار[1] في 26 جويلية 1535م وأهم ما جاء في هذه المعاهدة:

- أن يسمح للاسبان بالسكن في جميع أنحاء القطر وإقامة طقوسهم الدينية دون أن يعترض أحد لهم.
- أن يتنازل الأمير الحفصي الحسن للاسبان عن عنابة وبنزرت وحلق الوادي لإقامة حاميات بها.
- أن يدفع الأمير الحفصي سنويا للاسبان إثني عشر ألف دوكة وهي عملة فلورنسية[2].
- تعهد المولاي حسن لتقديم اثني عشر حصانا واثني عشر مهرا لشارلكان في كل سنة للاتفاق على الجنود.
- إذ تخلف مولاي حسن عن أي شرط سيدفع 50 ألف دوكة وفي المرة الثانية مئة ألف دوكة وفي المرة الثالثة تأخذ البلاد من.
- وقد تعهد المولاي الحسن الالتزام بشروط المعاهدة[3].

[1]- محمد العروسي، المرجع السابق، ص: 270.

[2]- شوقي عطا الله الجمل، المرجع السابق، ص: 87.

[3]- عزيز سامح التر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر: محمود علي عامر، ط01، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت، ص ص: 119-120.

فكان هذا سببا أظهر ثورة الأهالي عليه، فألقوا القبض عليه وسلبوه عينيه،بعدها خلفه على العرش ابنه أبو العباس الثاني والذي عمل جاهدا لمواجهة وإيقاف التيار الاستعماري[1].

لكن بعد هذه الحملة أمر السلطان سليمان القانوني خير الدين بالعودة إلى اسطنبول،وذلك لتولي أمور الأسطول العثماني في جربه مع القوى المسيحية التابعة للملك الاسباني شارل الخامس، بقيادة من طرف أندري دوريا، بعدها عاد خير الدين ثانية إلى مدينة الجزائر[2].

في الفترة التي كان فيها شارلكان منشغلا بالهجوم على تونس، كان خير الدين قد أصدر أمرا بإغراق السفن الموجودة في عنابة، حيث أبحر كل قائد بسفينته وعاد إلى الجزائر[3]، بعدها ذهب خير الدين بربروسا إلى ميورقة حيث هاجم سواحلها، وكان يريد أن يفعل بهذه المدينة ما فعله الاسبان بتونس[4].

في هذه الأثناء كان شارلكان قد إدعى قتله لخير الدين، وأنه نجح في فتح السواحل البربرية[5].

[1]- شوقي عطا الله الجمل، المرجع السابق، ص: 87.
[2]- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص: 242.
[3]- عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص: 120.
[4]- أحمد توفيق المدني، المرجع نفسه، ص: 141.
[5]- عزيز سامح التر، المرجع نفسه، ص: 121.

حيث رد عليه خير الدين بغزو ماهون في جزر البليار[1]، والتي تمكن خلالها من أسر ستة ألاف اسباني كما تحصل على مغانم كثيرة[2]، وخلال هذه المرحلة تم احتلال معظم موانئ تونس في المنطقة الساحلية الشرقية كسوسة وصفاقص والمهدية لصالح شارلكان الاسباني، الذي كان قد منح جزيرة مالطا ومدينة طرابلس إلى فرسان يوحنا الصلبيين.

كان هدف شارلكان من احتلال موانئ تونس وطرابلس، تضييق الخناق على الأتراك بالجزائر و ذلك عن طريق محاصرتهم وطردهم، إلا أن الأتراك وسكان الجزائر كانوا أكثر منه ذكاءا حيث عملوا على تقوية الصلة مع الدولة العثمانية خاصة في المشرق والتي أمدتهم بالمساعدة ،إضافة إلى ربطهم لعلاقة متينة بعدو شارلكان اللدود ألا وهو فرونسوا الأول ملك فرنسا والذي كان بدوره يشعر بالخطر الاسباني خاصة من ناحية الشرق والجنوب، حيث لجأ إلى إبرام معاهدة الامتيازات المشهورة مع الدولة العثمانية وذلك في عام 1535م، واستنجد بالأساطيل العثمانية الجزائرية لمواجهة قوات شارلكان التي كانت تمارس العدوان على الشواطئ الفرنسية[3].

كانت تونس من المدن الشهيرة نظرا لمكانتها الإستراتيجية، إذ أنها تربط بين حوضي البحر المتوسط الشرقي والغربي، وهذا ما جعلها محل أطماع العثمانيين والمسيحيين الإسبان، الذين تضاربت قواهم عليها ، وانتهى صراعهما أن نالت إسبانيا حكمها والسيطرة عليها.

[1]- حكمت ياسين، الغزو الاسباني للجزائر في القرن 16م، م03، مجلة الأصالة، الأعداد 08-09-10- منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان، 2011م، ص: 94.

[2]- عمار عمورة، موجز في تاريخ الجزائر، ط01، دار ريحانة، الجزائر، 2002م، ص: 91.

[3]- يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا تاريخ الجزائر والعرب، ج01، د.ط، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009م ،ص: 338.

3- حملة شارلكان على الجزائر 1541م:

3-1- مرحلة الاحتلال:

بعد مغادرة خير الدين بربروسا للجزائر خلفه حسن آغا[1] الذي أسر من طرف القراصنة الجزائريين، و قد واجه هذا الأخير عند ممارسته الحكم في هذه المدينة مهمة صعبة تمثلت في رد الهجوم الذي كان يخطط له الإمبراطور الاسباني شارلكان[2] لاحتلال مدينة الجزائر التي أصبحت عاصمة للمغرب الأوسط[3]، وقد تمثلت أسباب هذه الحملة في:

- الأخذ بالثأر والانتقام للشرف الاسباني الذي جرت إهانته تحت أسوار مدينة الجزائر سنة 1519م.

- الصراع السياسي في تلمسان وتمكنهم من إخضاع الدولة الحفصية بتونس.

- خضوع ملك تلمسان وعقده مع الاسبان معاهدة تبعية واستسلام، وقد كان هذا الخضوع الحفصي سبب جعلهم يتفرغون لإخضاع الجزائر.

---

[1]- جلال يحي ، تاريخ المغرب الكبير في العصور الحديثة وهجوم الاستعمار، د.ط، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م، ص: 26.

[2]- هو الإمبراطور شارل الخامس (شارلكان) 1519م-1556م ابن قبيلة الجميل تولى عرش اسبانيا ومستعمراتها سنة 1516م، باسم شارل الأول، بعدها تولى عرش الإمبراطورية الجرمانية المقدسة في 28 جوان 1519م، وقد لقب بعد وفاة جده الإمبراطور ماكسمليان بشارل الخامس أو شارلكان، تصدى لحركة الإصلاح الديني بجرمانية كما خاض الحرب في ايطاليا ضد فرنسوا الأول ملك فرنسا، وواجه ضغط سليمان القانوني في أوروبا وهجمات خير الدين بربروسا في البحر المتوسط، والذي رد عليه بهجمات كاحتلال تونس في سنة 1535م وقيامه بالحملة على الجزائر في سنة 1541م وبعدها اعتزل الحكم في سنة 1556م وتوفي في سنة 1558م،(عثمان الكعاك، موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، تح: أبو القاسم سعد الله وناصر الدين سعيدوني وآخرون، ط01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003م، ص ص: 277-278).

[3]- مبارك ابن محمد الهلالي الميلي، تاريخ الجزائري القديم والحديث، ج03، د.ط، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، د.ت، ص: 63.

- سفر خير الدين وإقامته بالمشرق جعلهم يظنون وجود فراغ بالجزائر.
- عدم وجود جيش كبير للمسلمين في الجزائر وعدم حساب الاسبان لقوة السكان.
- انغماس الدولة العثمانية في الحروب مع أوربا كالنمسا والمجر.
- خيبة الأمل الاسباني في القضاء على الغزو البحري بعد احتلالهم تونس سنة 1535م.
- إخفاق ميثاق التعاون والصداقة الفرنسي العثماني[1].

في هذه المرحلة كانت أنباء انتصارات قوات شارلكان في تونس وعنابة، سبب زاد من ذعر حسن آغا، خاصة وأن القائد دوريا قد مهد للحملة الاسبانية القادمة بإنشاء المواقع الاسبانية في عنابة وتحضير بعض الحملات الجزئية على البواخر والموانئ الجزائرية[2]، وبعد أن أتم الإمبراطور شارلكان تجهيزاته الحربية البحرية للقضاء على مدينة الجزائر،تلقى دعما من البابا يوحنا الثالث الذي أصدر أمرا في أوروبا أعلن فيه أن هذه الحملة هي حملة صليبية.

وخلال هذه الفترة ظهر عرض شارلكان على خير الدين بربروسا ،وذلك بأن يكون مواليا وأن يتخلى عن خدمة السلطان العثماني مقابل تنصيبه ملك على الشمال الإفريقي، حيث تعترف له إسبانيا بالملك ويعترف هو بتبعيته لشارلكان، إضافة إلى دفعه جزية أو غرامة سنوية[3].

[1]- مولاي بلحميسي، غزوة شارل الخامس على مدينة الجزائر، مج 05، مجلة الأصالة، الأعداد: 14-15-16، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان، 2011، ص: 249.

[2]- مبارك بن محمد الهلالي الميلي، المرجع السابق، ص: 63.

[3]- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص ص: 280-281.

كان هدف شارلكان من هذه الخطوة الحصول على شمال إفريقيا وانتزاعها من يد العثمانيين، وتحويلها إلى مناطق نفوذ له ولقواته حيث كلف كل من ألونودي أرجون والقبطان فرغاه والدكتور روميرو بإشراف أندريا دوريا للقيام بهذا المخطط التوسعي[1].

تظاهر خير الدين في الأول بقبوله لهذا العرض المغري ،لكنه كان قد أطلع السلطان العثماني بمجريات الأحداث وتطوراتها والتي دامت قرابة عامين، لكن بعد انقضاء هذه المدة عمل السلطان سليمان على أسر مبعوثي شارلكان، حيث سجن الدكتور روميرو بقلعة الحصون السبعة بسبب تحريضه للعثمانيين على العصيان[2].

قامت حملة شارلكان المشؤومة على مدينة الجزائر في صيف1541م[3]، وذلك بأسطول ضخم بلغت قطعه 516 سفينة[4]، أما إطاراته العسكرية فقد ضمت أفضل العائلات من إسبانيا وألمانيا وإيطاليا، حيث أصر البابا على مشاركة قريبه كولونا في هذه الحملة، إضافة إلى فرسان مالطة الذين ساهموا بـ 140 فارسا منهم، وقد وصل الأسطول الاسباني في 20 أكتوبر 1541م بقواته إلى الجزائر، لكن وبسبب سوء أحوال الطقس اضطر هذا الأسطول إلى الاحتواء برأس ماتيفو، والذي شاهد محاولة اقتراب سفينتين جزائريتين منه، حيث كلف فيكونت جيغال بملاحقتها فقبض على واحدة منها.

[1]- عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص: 155.
[2]- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص: 281.
[3]- شارل فيرو، المصدر السابق، ص: 89.
[4]- محمد العروسي المطوي، المرجع السابق، ص: 271.

تمكنت القوات الاسبانية في 23 أكتوبر 1541م من النزول على الضفة اليسرى من واد الحراش، حيث نزل شارلكان وقام بتقسيم قواته إلى ثلاث فرق، واتخذ منطقة الحامة مقرا لمعسكره،وقد تعرضت الفرق الاسبانية مع حلول الليل إلى هجوم من طرف الجزائريين بقيادة الحاج بشار[1].

بعدها تقدم شارلكان بجيشه في 24 أكتوبر1541م نحو مدينة الجزائر، وقد كانت قيادة الجنود الإسبان بيد فيرنان غرنزاك ،بينما تولى شارلكان رئاسة القوات الألمانية وذلك في الوسط، وقد تولى كاميل كولونا قيادة القوات الايطالية وفرسان مالطة في المؤخرة[2].

3-2- مرحلة الصراع مع الأهالي الجزائريين:

واجهت قوات شارلكان هجمات الأهالي الجزائريين في معركة عنيفة في كدية الصابون على مرتفع خلف مدينة الجزائر حيث تمكنت من السيطرة عليها[3]، بعدها اتخذ شارلكان هذه المنطقة كمقر جديد لقيادة أسطوله، ولاحتلال التلال القريبة من هذه المنطقة، وقد نجح في ذلك وهو ما سهل عليه التحكم في مدينة الجزائر وفي سكانها[4]، لكن هبوب الرياح الشمالية وتزايدها كان سبب أقلق الجنرال أندري دوريا[5] الذي انسحب إلى شرق رأس ماتيفو[6].

---

[1]- مبارك ابن محمد الهلالي الميلي، المرجع السابق، ص: 65.

[2]- عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص: 187.

[3]- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص: 283.

[4]- عزيز سامح التر، المرجع نفسه، ص ص: 158-159.

[5]- بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تح: يحي بوعزيز، ج01، د.ط، دار الغرب الإسلامي، د.ت، ص: 224.

[6]- عزيز سامح التر، المرجع نفسه، ص: 159.

ظهرت خلال هذه الفترة عدة روايات حول تفاهم شارلكان مع حسن آغا حيث ذكرت الرواية الإسلامية رفض حسن آغا تسليم مدينة الجزائر، أما الرواية الاسبانية فقد وضحت تردد حسن آغا ورفضه الاستسلام، وقد إشتركت هذه الروايات في شيء واحد ألا وهو، رفض حسن آغا لطلب شارلكان بتسليم المدينة.

بقيت قوات شارلكان في هذه الفترة معسكرة أمام مدينة الجزائر وكلها اطمئنان لفوزها وسيطرتها على المدينة في وقت قصير[1]، إلا أن هذا الإمبراطور لم يحسب حساب وجود قوة عظيمة في هذه المدينة لا تقاومها ولا تصدها قوة على وجه الأرض، ألا وهي قوة إيمان سكان هذه المدينة وعزمهم على الجهاد في سبيل الله والوطن[2].

وقد كان هبوب العاصفة دافع سهل على حسن آغا ووكيله بشير، إضافة إلى قواته مهاجمة رأس تافورال الذي سمي بباب عزون، فكانت الصدمة كبيرة لشارلكان وقواته وحتى بالنسبة للقوات الايطالية ،التي كادت أن تزول لولا مقاومة فرسان مالطا الذين سيطروا على الطريق المؤدي إلى كدية الصابون، حيث لجأ قائدهم كاميل كولونا والأمير دي سالمون إلى تحفيز الجنود للمقاومة والصمود، وقد تمكنوا من السيطرة على باب عزون، فكانت هذه الخطوة محفز استغله شارلكان وأقبل على مهاجمة الجناح الأيمن للجزائريين[3].

[1]- مبارك بن محمد الهلالي الميلي، المرجع السابق، ص: 66.

[2]- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص: 284.

[3]- عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص: 161.

لكن وبالرغم من بسالة وشجاعة فرسان مالطا إلا أنهم لم يتمكنوا من الصمود بسبب غزارة الأمطار حيث استغل الجزائريون ذلك وتمكنوا من القضاء عليهم[1].

وقد أسفرت المعركة في 25 أكتوبر 1541م عن نصر الجزائريين[2]، وهذا ما جعل القائد أندري دوريا يبعث برسالة إلى شارلكان ينصحه فيها بعدم الصمود أمام هذه المدينة، وأن يهتم بحماية ما بقي من الأسطول برأس ماتيفو.

بعدها قرر شارلكان في 26 أكتوبر 1541م تطبيق نصيحة دوريا، حيث أمر بالانسحاب وبقتل بعض خيوله التي كانت مزينة بالذهب وذلك لتفادي غضب وانزعاج جنوده[3]، كما أمر كذلك بوضع الجرحى والمرضى من الجيش في الوسط ، وكلف الجنود الايطاليين بالسير على اليمين، بينما قاد هو فرسان مالطا في المؤخرة حيث باغتتهم القبائل المجاورة، لكنهم نجحوا في ردعها، وبمجرد وصول الجيش إلى رأس ماتيفو اجتمع شارلكان بقادة أسطوله، وطرح عليهم فكرة إعادة الهجوم من جديد أو تأجيله لوقت لاحق، وقد كان من الذين رفضوا التأجيل فرنان كورينز والكونت دالكوت أما البقية فأيدوا فكرة التأجيل[4].

وقد كان تاريخ 01 نوفمبر 1541م هو اليوم الذي بدأت فيه قوات شارلكان الانسحاب، حيث تعرضت إلى مضايقات ومقاطعات من طرف الجزائريين خلال احتمائها بميناء بجاية، وقد

[1]- عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص: 289.
[2]- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص: 289.
[3]- مبارك بن محمد الهلالي الميلي، المرجع السابق، ص ص: 67-68.
[4]- عزيز سامح التر، المرجع نفسه، ص: 164.

اضطرت إلى التمون من جزر البليار بسبب المجاعة،وقد وصل في 01 ديسمبر 1541م شارلكان رفقة قواته إلى قرطاجة[1].

3-3-مرحلة الضعف:

كان لهزيمة شارلكان وفشلها على مدينة الجزائر أثر على الإمبراطورية الاسبانية وملكها ،وحتى على مستوى الأحداث العالمية، حيث انتشرت أخبار هذه الهزيمة[2]، وعمت ربوع أوروبا ولم يبقى أي حليف أو مساند للإمبراطور في هذه الفترة إلا هنري الثالث ملك إنجلترا، وكان هذا سبب جعل فرح الفرنسيين يعادل فرح الجزائريين، وذلك لأن سقوط الجزائر كان سيؤدي إلى سقوط فرنسا[3]، حيث بادر ملك فرنسا فرنسوا الأول إلى التحالف مع السلطان الأول[4] في سنة 1515م-1547م باعتبار أن شارلكان وقواته كانت تمثل خطر حقيقي على كلاهما[5].

بعد كل هذا العناء والمقاومة أقيمت بالجزائر الأفراح ودامت احتفالات هذا النصر، وقد كان يهود العاصمة أكثر الناس ابتهاجا وفرحا بهذا النصر، بسبب حقدهم وعداوتهم للاسبان، وكذا

---

[1]- مبارك بن محمد الهيلالي الميلي، المرجع السابق، ص: 68.

[2]- عبد الجليل التميمي، رسالة من مسلمي غرناطة إلى السلطان سليمان القانوني 1510، المجلة التاريخية المغربية، العهد الحديث والمعاصر، العدد 03، كلية الآداب التونسية، تونس، 1975، ص: 41.

[3]- بسام العسيلي، خير الدين بربروسا والجهاد في البحر،1470-1547م، ط01، دار النفائس، بيروت،1980، ص: 199.

[4]- ولد عام 900هـ وهو ابن السلطان سليم، تولى السلطة عام 926هـ، وقد وضع عدة قوانين تتعلق بالإدارة لذلك لقب بالقانوني، كما قام بعدة فتوحات (غرتلو يوسف بك أصاف، تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، تق: محمد زينتهم ومحمد غرب، ط01، مكتبة مديولي، القاهرة، 1995، ص، 60).

[5]- بيتروشوجر، أوروبا العثمانية 1304-1804م ، تر: عاصم الدسوقي، ط01، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، 1998، ص: 87.

حصولهم على الأمن والاستقرار وحرية ممارسة نشاطهم بمدينة الجزائر، وبعد كل هذا اطمأنت قلوبهم وصار اليهود يحتفلون كل عام بذكرى 109 أي ذكرى سنة 1541م[1].

رغم كل الجهود والمحاولات التي بدلها الإسبان للنيل من مدينة الجزائر فيما يقارب 3 قرون، إلا أن القوى الجزائرية كانت فوق كل اعتبار، إذ تمكنت الجزائر من الصمود في وجه هدا العدو، وكسرت شوكته، وأنهت أطماعه باعتبار أنها مدينة محصنة.

[1]- بسام العسيلي، المرجع السابق، ص: 200.

الفصل الثالث

التواجد التركي في سواحل شمال إفريقيا

1- جهود الإخوة بربروس بجزيرة جربة سنة1512م.

1-1- الإخوة بربروس بجزيرة جربة

1-2- تحركات الإخوة بربروس

2- ظروف التواجد العثماني بطرابلس ونتائجه

2-1- إستنجاد أهالي طرابلس بالأتراك

2-2- تجهيز الأسطول التركي

2-3- الهجوم التركي على طرابلس

1- جهود الإخوة بربروس بجزيرة جربة سنة 1512م

1-1- الإخوة بربروس بجزيرة جربة

بعد أن شرع الإسبان في السيطرة على أغلب موانئ المغرب وإفريقية الواحد بعد الآخر، بداية بالمرسى الكبير سنة1509م والجزائر سنة 1510م، كما أنهم عمدوا إلى إقامة حصن كبير بجزيرة مقابلة لمدينة الجزائر، وأخذوا له اسما ألا وهو حصن البنيون، ثم حاصروا مدينة بجاية وطرابلس وكذلك جزيرة جربة[1].

إلا أن مشروع الإسبانيين واجه أمامه أهداف العثمانيين الذين قاموا بإنشاء الأساطيل من أجل التحكم في البحر المتوسط[2]، والتي كانت بمثابة قوة أنقذت البلاد من الغزو الأوروبي كما أنها عملت على توحيد البلاد سياسيا[3].

في هذه الأثناء برزت قوة جديدة بشمال إفريقية، ألا وهم عروج وأخوه خير الدين بربروس، اللذان ينحدران من أروام جزيرة مدللي إحدى جزر الروم، ارتكز عملهما على القرصنة البحرية، والإستيلاء على المراكب المسيحية الخاصة بالتجارة وأسر من بها من ملاحين وبضائع وبيعهم بصفة رقيق[4].

فقد كان نشاط الريس عروج مركزا من ناحية المجال البحري بداية بسواحل الأناضول وسوريا ومصر، أما أخوه خير الدين فكانت وجهته بسواحل بحر ايجة وسلانيك[5].

ويعتبر كل من عروج وخير الدين بربروسا من الأوائل الذين وطأت أقدامهما على سواحل شمال إفريقية، فعملا على التهيأ والتحضير من أجل احتلال كل البقاع التي تمتد من الجزائر حتى

---

[1]- حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ط1، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1987م، ص:186.

[2]- موسوعة قصة وتاريخ الحضارات العربية بين الأمس واليوم تونس الجزائر، د.ط، د.م، 1998م، 1999م، ص:51.

[3]- سيري الجوهري، شمال إفريقية، ط6، الهيئة المصرية للكتاب، الإسكندرية، 1980م، ص:141.

[4]- محمد فريد بك، المرجع السابق، ص:230.

[5]- أحمد فؤاد متولي وهويدا محمد فهمي، تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي، د.ط، إستراك للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت، ص:251.

طرابلس، وحسب رأي الكاتب إيتوري روسي أن تاريخ بداية مغامراتها تحدد بنهاية القرن 15 أي بعد خروج العرب من الأندلس، هنا بدأت أولى تدخلات الأتراك في غربي حوض البحر المتوسط[1].

لقد كان لهذين الملاحين الدور الكبير في التعجيل بالأحداث السياسية في المغرب العربي، وذلك بحملاتهم المتواصلة بهدف مساندة دول شمال إفريقيا، وبالأخص من لجأت لهما وطلبت نجدتهما[2].

في مدة قصيرة من الزمن أصبح عروج بطلا قرصانا مرعبا يهابه الكل[3]، حيث اعتلى هذا الأخير المقدمة بين إخوته في ميدان الملاحة، ووجهت أنظاره إلى البحر وهو في سن العاشرة[4]، إلا أنه تم القبض عليه وأسره من قبل فرسان القديس يوحنا مدة من الزمن[5]، عندما كان متوجها نحو طرابلس طرابلس والشام لجلب البضاعة وبيعها[6].

عمل هذا الأخير مجدفا والقيد في رجليه، إلا أنه تمكن من الفرار بعدما ألقى بنفسه في البحر قرب الشواطئ المصرية، لكن لم يوافيه الحظ وأسر للمرة الثانية واستطاع الهروب منهم فوصل إلى السواحل التركية، وهنا حصل عروج على مركب صغير غزى به شواطئ ايطاليا وتمكن من الاستيلاء على سفينتين تابعتين لدولة البابا بها بضائع ثمينة[7].

---

[1]- إيتوري روسي، المصدر السابق، ص:186.

[2]- نبيل عبد الحي رضوان، جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس واسترداده في مطلع العصر الحديث، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي الحديث، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1987، ص:104.

[3]- إيتوري روسي، المصدر نفسه، ص:186.

[4]- عثمان سعدي، الجزائر في التاريخ، د.ط، شركة دار الأمة، الجزائر، 2013، ص: 370.

[5]- إيتوري روسي، المصدر نفسه، ص: 187.

[6]- خير الدين بربروس، مذكرات خير الدين بربروس، تر: محمد دراج، ط1، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص: ص: 45.

[7]- عثمان سعدي، المرجع نفسه، ص:370.

وكذلك تمكن من السطو على سفن ايطالية أخرى رجع بها إلى ميناء الإسكندرية بعد أن دفع الخمس من الغنائم لبيت المسلمين[1].

مكث هذان الأخوان بتونس وذلك بعد أن وافق سلطانها المدعو محمد[2]، وبالتحديد بجربة التي ذكرها المبشر إيفالد أنها كانت عبارة عنة شبه جزيرة تفصلها عن البر من المشرق سوى ربع ميل انكليزي[3].

اتخذ كل من عروج وأخوه خير الدين من هذا المكان مركزا لهما سنة 916هـ.1510م[4]، حيث أقاما بها أسطول صغير يتكون من عشرة سفن يديرها بحارة متطوعين[5]،و يذكر خير الدين بربروس في مذكراته قائلا " ركبت سفينتي وأخذت بعض القطع فجبت البحر طولا وعرضا إلى أن أتيت جزيرة جربة[6]، وبينما نحن فيها فكرت في التوجه إلى تونس، وبعد أن دخلنا تونس قدمنا الهدايا للسلطان وقلنا له: نريد أن تتفضل علينا بمكان نحمي به سفننا، بينما نقوم بالجهاد في سبيل الله ونبيع غنائمنا في سوق تونس، فسوف يستفيد المسلمون من ذلك وتنتعش التجارة كما ندفع لخزينة الدولة ثمن ما نحوزه من غنائم"، فقبل لهم السلطان بالرسو في ميناء حلق الوادي، الذي أمضوا فيه فصل الشتاء، وفي طريقهما إلى تونس إستوليا على إحدى السفن بجزيرة سردينيا فانقضوا عليها وقاما بمنح جزء من غنائمها إلى السلطان وتصدقوا بما تبقى منها إلى الفقراء.

---

[1]- بسام العسيلي، المرجع السابق، ص: 27.

[2]- شارل فيرو، المصدر السابق، ص: 85.

[3]- المبشر إيفالد، رحلة المبشر إيفالد من تونس إلى طرابلس في سنة 1835- (مرورا بسليمان ونابل والحمامات وسوسة والمنسنير والمنسنير والمهدية وصفاقص وقابس وجربة)، تع: منير الفندري، ط1، بيت الحكمة، قرطاج، 1991، ص: 86.

[4]- فؤاد متولي وهويدا محمد فهمي، المرجع السابق، ص:251.

[5]- عثمان سعدي، المرجع السابق، ص:370.

[6]- جربة: هي جزيرة في بحر إفريقية وقرية بالمغرب قريبة من قابس يسكنها البربر والخوارج، يبلغ طولها حوالي 60 ميلا من المغرب إلى المشرق وتتصل بجزيرة ريزو.(محمد ابن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، ط1، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1975م، 1984م، ص:158؛ شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت ابن عبد الله الحموي الرومي،معجم البلدان، م2، دار صادر، بيروت، د.ت، ص:118).

فقد شاع أمر الأخوين بين الكفار فعزموا على القضاء عليهم،بقولهم "لقد ظهر تركيان اسمهما عروج وخير الدين خضر، يجب أن نسحق هاتين الحيتين قبل أن تتحول إلى تنين، علينا أن نمحوا اسميهما من على وجه الأرض، إننا إذا أتحنا لهما الفرصة سوف يسببان لنا متاعب كثيرة"[1].

كان لظهور خير الدين وعروج نابعا من خطة مدروسة إذ أن هدفهما المنشود هو تحرير دول الشمال الإفريقي من الاحتلال الاسباني، فكانت أول أعمالهما اتخاذهما لجزيرة جربة أول مركز لهما.

1-2- تحركات الإخوة بربروس:

اتحد الأخوين على تقوية مركزهم حيث عملوا جاهدين على تحصينه بشكل قوي، وبعدها اتخذوا طريقهم نحو البحر من أجل البحث عن الغنائم، وخلال مزاولتهم لنشاطاتهم[2] في عرض بحر تونس[3] تيقنوا إلى أهميتها وما تتمتع به من موقع جيد، وذلك باعتبار أنها تشرف على الممر الواصل بين حوض البحر الأبيض المتوسط الغربي والشرقي[4].

مضى الأخوان (عروج وخير الدين) في أولى عملياتهم في حوض البحر الأبيض المتوسط بثلاث سفن صغيرة، وعند تقدمهم في عرض البحر اشتبكا بسفينة نابولية كبيرة متجهة نحو برشلونة تقل ثلاثمائة جندي اسباني، وبالرغم من قوة وقدرة هذه الأخيرة التي أحبطت محاولات السفن الإسلامية سبع مرات على التوالي، إلا أن خير الدين تمكن من الوصول نحو السفينة بعد أن أصيب أخوه عروج بجروح بليغة فتمكن من السيطرة عليها والعودة بها وبأسراها إلى حلق الوادي وهي تحمل راية الاستسلام[5].

---

[1]- خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص ص: 46-50.

[2]- عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص: 45.

[3]- تونس: هي مدينة عظيمة بينها وبين القيروان مسيرة ثلاثة أيام، غلب عليها ماء البحر وهي مدينة قديمة البناء لها سور عظيم (كاتب مراكشي)، الاستبصار في عجائب الأمصار، تع:سعد زغلول عبد الحميد د.ط، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، د.ت، ص: 120.

[4]- عبد الرحمن حميدة، جغرافية الوطن العربي، ط01، دار الفكر، سوريا، 1990، ص: 203.

[5]- بسام العسيلي، المرجع السابق، ص: ص: 28-29.

بعد هذا النجاح واعترافا بكرم وردا لجميل السلطان الحفصي (محمد)فقد قام الأخوان بتقديم الهدايا الفاخرة له، واشتملت على عدد كبير من كبار الأسرى وبهذا ازدادا إعجاب السلطان بهما وتقديره لهما[1].

خلال هذه الفترة جاءت نكبة بجاية التي كانت تحت السيطرة الاسبانية كما سبق وذكرنا، حيث تم تشكيل وفد من العلماء والأعيان من أهلها لمقابلة عروج وطلب المعونة منه قصد تحريرها من أيدي المحتل المسيحي، وبعد أن تم تحاور الأخوان في الأمر عزموا على تلبية هذا النداء فجمعوا رجالهم من الأقوياء والمجاهدين واتفقوا مع أهل بجاية أن يكون موعدا اللقاء عند أسوار هذه المدينة.

اتجه عروج وخير الدين بقرابة خمس سفن حربية تحمل على متنها كمية معتبرة من السلاح والرجال والمدافع، وفور وصولهم وجدوا ثلاثة ألاف مجاهد من القبائل المستوطنة في جبال (زواوة) بانتضارهم بقيادة (المجاهد الموفق)، أما بخصوص الأسطول الاسباني فوصل إلى بجاية بقرابة عشرة سفن.

دارت معركة عنيفة بين هاتين القوتين، فكان النصر في بداية الأمر لعروج، حيث نجح بالاستيلاء على سفينة اسبانية واغرق أخرى أما ما تبقى من السفن تمكنت من الفرار[2].

فقد كان هذا دافع صعب على شارلكان فرض سيطرته على هذه المدينة بالرغم من هجومه العنيف الذي طبقه عليها، إضافة إلى تحطيمه لأسطولها حيث تلاشت مساعيه في تطويق هذه المدينة، وما زاد من حدة قلق هذا الإمبراطور ألا وهو دخول كل من حاكم تلمسان وتونس تحت النفوذ العثماني، وكذلك التخوف من الإخوة بربروسا الذي كان صيتهم قد شاع في أرجاء هذه المدن[3]، فعملت القوات الاسبانية على طلب المزيد من الدعم من ملوك اسبانيا حيث عملوا جاهدين

[1]- بسام العسيلي، المرجع السابق، ص: 29.

[2]- نفسه، ص ص: 85-86.

[3]- فؤاد متولي وهويدا محمد فهمي، المرجع السابق، ص: 253.

للفصل بين القوى البحرية، (عروج وخير الدين) والقوى البرية (الوطنية والقومية في المغرب الإسلامي)[1].

قرر خير الدين محاصرة بجاية بحرا وترك عدد من المجاهدين لتطويقها برا حتى تضعف قوتها ويسهل عليهم مهاجمتهم، إلا أن عروج فضل القيام بالهجوم المباشر، وفعلا تم ذلك[2]، وأثناء نشوب المعركة أصيب عروج في ذراعه ،بعدها تم نقله إلى السفينة من قبل أخيه خير الدين وانسحبوا راجعين إلى تونس، وخلال طريق عودتهم قاموا بالاستيلاء على قطعة بحرية كبيرة[3] تابعة لمدينة جنوة الايطالية فقام بالإغارة عليها وأسر من بها وأطاح بغنائمها، ورجع بها إلى تونس وضمها إلى قوة أساطيله[4].

بعد أن استعاد عروج صحته قام الأخوان بالتوجه بثمانية مراكب حتى وصولوا سواحل الأندلس، التي سقطت في أيدي الاسبان والحقت بالمسلمين جرائم عدة، فعمل كل من خير الدين وعروج على جلب الكثير ممن تبقى من العرب وتخليصهم من الكفار، حيث تم نقلهم إلى الجزائر وتونس[5].

خرج الأخوين سنة 1514 م يجوبان البحار، وتمكنا من السيطرة على إحدى السفن الفرنسية التي كانت محملة بالقمح والقادمة من جنوا،وفي طريق عودتها ووقع نظر عروج على سفينة ضخمة تابعة للانجليز محملة بالأقمشة فاصطدم بها وجرت بينها معركة بحرية صغيرة استطاع عروج من خلالها أن يخضع طاقمها والعودة بها إلى تونس وإثر وصوله قام بتقديم حصة من غنائمها إلى السلطان التونسي في حين وزع الباقي على القراصنة[6].

[1]- بسام العسلي، المرجع السابق، ص: 88.
[2]- نفسه، ص: 87.
[3]- عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص: 46.
[4]- بسام العسيلي، المرجع نفسه، ص: 88.
[5]- خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص: 53.
[6]- عزيز سامح التر، المرجع نفسه، ص ص: 44-45.

من خلال خوض عروج لتجربته في محاولة تحرير مدينة بجاية خيل له أن من المستحيل تطويق هذه المدينة وهو متمركز في قاعدة بعيدة في تونس، ولذلك عزم على فتح جيجل وتحريرها من أيدي المسيحيين وكذلك اتخاذها مقرا لعملياته المقبلة، مع العلم أن جيجل كانت محمية من طرف جنوا الإيطالية منذ سنة 1260م، وإثر سماع هذه الحامية بهجوم عروج الفاشل على بجاية قررت اللجوء إلى طلب الدعم من طرف (أندري دوريا) الذي لم يبخل بتقديم المساعدة لها، فاتجه بأسطوله نحوها، هنا شبت معركة بينه وبين المسلمين وتمكن من خلالها من إخراج أهلها من بلادهم وتشريدهم.

هنا قرر أهل جيجل الاستنجاد بعروج وأعلنوا ولاء طاعتهم له واستعدادهم بدعمه بما تمكن لهم من ذلك، فقبل عروج تقديم يد المساعدة فقام بجمع قواه[1] والتحق به مجاهدوا هذه المدينة، وتمكنوا في نهاية المطاف من تحريرها وقضوا على جنود حاميها بعدما منحهم السلطان العثماني الأول إمدادات قيمة[2].

بعد هذا النجاح الذي حققه عروج في هذه المدينة عزز بها مكانته بينهم حيث قاموا بمبايعته أميرا عليهم، وبهذا تمكن من تشكيل جيش وتدريبه على استخدام مختلف أنواع الأسلحة الحديثة، فأصبحت دعوته للجهاد عامة وشاملة[3].

في سنة 1515م أرسل لهما طلب ثاني قصد تخليص بجاية من حكم الإسبانيين، فوافق عروج على طلبهم وقام بتجهيز أسطول مكون من 12 سفينة وسار رفقة أخيه خير الدين ورفاقه[4]. حيث اعتمد في هجومه على فرض الحصار في البر والبحر، وفور وصوله وجه نيران مدافعه صوب الحصن الصغير حتى تمكن من تدميره نهائيا، بالرغم من كل هذا لم يمكن لعروج من دخول المدينة وذلك بسبب قوة تحصينها فقرر القصف المباشر للقصر الكبير وتدمير أصواره، كما أمر ببناء برج مرتفع حتى يسهل عليه أمر متابعته لسير أحداث هذه المعركة.

[1]- بسام العسيلي، المرجع السابق، ص ص: 88-89.

[2]- عثمان سعيدي، المرجع السابق، ص: 371.

[3]- بسام العسيلي، المرجع نفسه، ص: 90.

[4]- شارل فيرو، المصدر السابق، ص: 85.

اندلعت معركة دموية بين القوتين قضت على عدد كبير من المجاهدين المسلمين الإسبانيين، كما أن كمية البارود التي جمعها عروج لخوض هذه الحرب قد نفذت فاشتد بهم الأمر وطلب من السلطان الحفصي محمد تزويده بها، ولكن هذا الأخير رفض تقديم يد المساعدة،وهو الأمر الذي دفع بعروج إلى إيقاف الاشتباك لأنه فقد ما يقارب ثلاثة أرباع من قوته، كما أنه تم قتل أخيه الأكبر محمد إلياس[1].

قام عروج بإرسال هدية معتبرة من الغنائم التي حصل عليها إلى السلطان (سليم) مع رسالة شرح له فيها صعوبة إنقاذ المسلمين من أيدي الصليبيين وكذا مدى احتياجهم للدعم والمساعدة، فقبل السلطان هديتهم وقام بتدعيمهم ب 14 سفينة معبئة بالأسلحة والذخائر الجيدة والرجال الأقوياء، هذا ما زاد من معنويات عروج ورجاله في العودة للهجوم على بجاية، إلا أنه لم يوفق في الذهاب إليها بسبب وصول وفد آخر من الجزائر يستنجد به على ما يقوم به الأعداء المسيحيين بهم وبمدينتهم[2].

وافق عروج على طلب هذا الوفد وقرر المسيرة لها برا بكل ما يملكه من قوات مختلفة، أما خير الدين فجمع أسطوله المكون من 17 سفينة ضخمة وثلاثة سفن مسلحة على متنها 2500 مجاهد وإثر وصول عروج إلى هذه المدينة اتجه صوب شرشال وحررها من الإسبانيين[3]. وبعد مضي عامين من الزمن قام عروج بتعيين نفسه ملكا على مدينة الجزائر بعدما اغتال حاكمها (سالم التومي)[4].

بعد أن تم اغتيال سالم التومي قام ابنه (يحي بن سالم التومي) بالاستنجاد بالإسبان للثأر من الأتراك وطردهم من الجزائر، وكذلك قصد إعادة الحكم له، فاستجاب المسيحيين لطلبه لأنهم كانوا على يقين بأن تواجد الأتراك بهذه المدينة يشكل خطر عليهم وعلى مشاريعهم، وكذلك تخوفهم من عرقلة علاقاتهم التي أقاموها مع بعض الفئات في زمن وجيز.

[1]- بسام العسيلي، المرجع السابق،ص:91-93.

[2]- نفسه، ص ص: 92-93.

[3]- نفسه ص: 94.

[4]- شارل فيرو، المصدر السابق، ص: 85.

فقام الكردينال (خمينس) بتجهيز حملة ضد الجزائر تضم 35 سفينة بها 8 آلاف مقاتل كما قام بتعيين (دياغو دي فيرا) كقائد لها، أما بالنسبة لعروج فكان يتابع تحركاتهم رفقة أتباعه وقام بوضع مخطط لهجومه وكان كالتالي:

- السماح للقوات الإسبانية بالإنزال مع عدم تقديم مقاومة كبيرة.
- ترك معظم القوى الإسلامية في حصون المدينة ووراء أسوارها وعدم زجها إلا في الوقت المناسب[1].

أما مخطط الهجوم الإسباني تمثل في:

- إنزال القوات والأسلحة إلى المنطقة الساحلية وإقامة معسكر بها في المرحلة الأولى.
- تسلق المرتفعات المحيطة بالجزائر، فيما يلي الأسوار واحتلال موقع القصبة والإشراف منه على مدينة وقصفها بالمدافع.
- انتظار الجيش الذي يقوده السلطان تنس ومهاجمة المدينة بقوة.

في يوم 30 سبتمبر 1516م دارت معركة عنيفة بين قوى عروج والأسطول الأسباني، حيث كانت قوات المجاهدين المسلمين تتكون من:

- الأتراك أصحاب عروج وهم فئة قليلة، انحصر واجبها بقيادة القوات والتقدم أمامها[2].
- رجال الأندلس المهاجرين الذي بلغ عددهم 15 ألف ممن يحسنون استخدام السلاح.
- المقاتلون من سكان المدينة ذاتها.

نتيجة لهذا كانت الضربات موجهة للجنود المسيحيين قوية جدا، إذ أصيبت القوات الأسبانية بخيبات أمل في محاولتها لصد هجومات المهاجرين، لذلك قرر قائد الحملة المسيحية الانسحاب باتجاه الساحل للتوقف في السهل تحت حماية مدفعية الأسطول القوية، وذلك بعد أن فقد السيطرة على جنوده وتحطم نصف أسطوله بسبب هبوب عاصفة هوجاء.

[1]- بسام العسيلي، المرجع السابق، ص: 96.
[2]- نفسه، ص ص:97.

بعد هذا الانتصار الذي أحرزه عروج ورجاله نال ولاء معظم سكان مدينة الجزائر وخاصة (متيجة)، كما أنهم أيدوا النظام الذي أقامه عروج بها، وبذلك انضمت لهذه الإمارة كل من مدينة البليدة، مليانة والمدية[1].

جمع عروج قواه وانظم إليه أخوه بأسطوله المكون من عشرة سفن ،وذلك قصد تحصين مدينة الجزائر لأنهم كانوا على يقين بأن القوات الاسبانية لن تبق مكفوفة الأيدي نتيجة لما حل بها من هزائم وكذلك لعدم تنازلهم عن احتلال الجزائر بسهولة، لذلك شرع الأخوان ببناء أسوار عالية وقلاع حصينة.

في يونيو 1517م قرر عروج التوجه نحو تنس قصد تطويق النظام الذي أقامه الأسبان بها، وذلك بدعم من يحي بن سالم التومي الذي قاموا بتعيينه أميرا لإدارتها، كما أنهم قدموا له دعما اسبانيا يتألف من خمسمائة مقاتل وأسطول يضم أربعة سفن، وفور وصول عروج وأخوه خير الدين نشبت بين الطرفين معركة انتهت بهزيمة قوات السلطان تومي وانسحاب الجيش الأسباني في عجلة من أمره كما أن سالم التومي تلقى مصرعه.

وبهذا تفرغ عروج لإعادة هيكلة الإقليم حيث قام بتقسيمه إلى مقاطعتين وهما: المقاطعة الشرقية ومقاطعة الجزائر العاصمة، فأوكل إلى خير الدين الأولى، أما الثانية فأدارها بنفسه، وبعد ذلك توجه خير الدين نحو دلس وقام بفتحها دون أي مقاومة تذكر[2].

أما فيما يخص مدينة تلمسان فهي الأخرى قام جزء من أهاليها بالاستنجاد بالأخوين عروج وخير الدين، وذلك قصد إنقاذهم من جور السلطة الفاسدة، فاستجاب عروج لطلبهم ودخل إليها سنة 1517م[3]، ويرجع السبب الرئيسي في لجوء أهلها إلى ذوي اللحي الشقراء في تمادي سلطان هذه المدينة المدعو أبو حمو الثالث باعتماده على الأسبانيين الذين أعادوا تنصيبه على عرش تلمسان.

[1]- بسام العسيلبي، المرجع السابق ، ص ص: 99.

[2]- نفسه، ص: 100.

[3]- براهيمي نصر الدين، نص سيدي محمد نقادي تلمسان الذاكرة، د.ط، سلسلة المدن الجزائرية، د.م، 2010م، ص: 94.

اتجه عروج بكل قواه نحو تلمسان، واتخذ من قلعة بني راشد قاعدة له وعسكر بها قرابة ستمائة مقاتل كلفهم بتضييق الخناق على الجنود المسيحيين ومنعهم من التحرك، وواصل هو مسيرته حتى وصل إلى هذه المدينة فاستقبل أحسن استقبال، واستطاع انتزاع الحكم من بين أيدي أبو زيان الثالث، الأمر الذي أدى بالسلطان إلى التمرد على عروج، حيث اتجه إلى حاكم وهران طالبا منه العون ومساعدته في العودة إلى الحكم[1].

قبل ملك إسبانيا شارلكان بتقديم يد العون إلى أبو حمو الثالث، حيث كلف حاكم وهران بتدعيمه بالجيش والعتاد، وفي يناير من سنة 1518م اتحدت هاتين القوتين واتجهت بصوب قلعة بني راشد، وفور وصولهم ضرب حصار قوي على المدينة[2].

تولى عروج الدفاع عن تلمسان بكل بسالة، حيث قاد عدة معارك ضدهم بالرغم من تفوق عتاد الأسطول الأسباني، إلا أن عروج نجح في قيادة جيشه بحرب دامت قرابة الستة أشهر، ولكن في آخر المطاف آل النصر إلى المسيحيين الذين قاموا بتجهيز حملة قوية ضمت خمسين فارسا بقيادة (غارسيا دي لابلازا) انتهت باستشهاد عروج على أرض المعركة.

وبعد وفاة عروج واصل خير الدين مسيرته في السيطرة وتتبع مراكب الإفرنج، واستطاع هذا الأخير النزول بشواطئ كل من ايطاليا واسبانيا وفرنسا، حيث تمكن من فتح الحصن الذي أقامه الإسبان في الجزائر "حصن البنيون"[3]، وبهذا قام الإسبان بتكليف الأميرال الجنوي أندريه دوريا بالإغارة على جزيرة شرشال ولكنه فشل في ذلك.

بعد ذلك أتجه خير الدين مع قرابة خمسة وثلاثون سفينة ،والتي قصف بها موانئ الإسبان وعاد غانما إلى الجزائر، فخلال حملته هاته حصل على معلومات من قبل الأسرى الذين تم القبض عليهم حول استعدادات الإسبان. وبهذا قام خضر بإرسال طلب لسنان الريس الموجود في جزيرة جربة

[1]- بسام العسيلي، المرجع السابق، ص: 102.

[2]- نفسه، ص: 103.

[3]- محمد فريد بك، المرجع السابق، ص:233.

،قصد الاستعداد للمجابهة ومساعدته، فقام هذان الأخيران بتجهيز أسطول مشترك بينهما يقارب 48سفينة، وفور وصول الأمير الجنوي لجزيرة جربة وجد أمامه دفاع قوي دفعه إلى الانسحاب[1].

قام كذلك خير الدين بالإغارة على عدد كبير من جزر البليار، وألحق الكثير من الدمار على بعض أبراجها ودمر الكثير من القرى، كما أنه جهز ثمانية سفن وهاجم بها أميرال كورسيكة وألحق هزيمة شنعاء به، حيث استطاع وبكل شجاعة أسر عشرين سفينة بالإضافة إلى القبض على أزيد من 3800 شخص في قرابة شهر من الزمن.

تمكن خير الدين كذلك من الاستيلاء على جزر الكناري، حيث خرب ودمر ما وجده بطريقه، كما أنه أسر قرابة 1800 شخص إلا أنه أطلق صراحهم بعد أن قدموا له فدية مقدارها 12000 قطعة ذهبية، وبعودته إلى تونس جلب معه أربعة قطع بحرية تحتوي على ثمانية آلاف من القماش، وفي هذه الأثناء وجدت سفينة فرنسية في عرض البحر بها كمية من الأخشاب فاستسلمت هذه الأخيرة فور سماعها اسم خير الدين بربروسا[2].

وخلال هذه الفترة ظهر الفرمان الذي بعث به السلطان سليمان القانوني إلى خير الدين وذلك من أجل القدوم إلى إسطنبول بعد أن تم تعيين شخص آخر مكانه، ألا وهو لحسن آغا الخادم ومعه رمضان الحاج مستشارا[3]، وقد تم استقبال بربروسا ورفقائه الذين كانوا معه من طرف السلطان الذي بادر بطرح بعض الأسئلة على أندري دوريا وعن أعماله التي كانت بالبحر الأبيض المتوسط، حيث أثارت إجابات هذا الأخير اهتمام السلطان[4]، والذي قرر تعيينه برتبة أمير الأمراء وأمر كافة الأميرالات بطاعته[5].

---

[1]- فؤاد متولي وهويدا محمد فهمي، المرجع السابق، ص ص: 256-257.

[2]- عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص:46.

[3]- فؤاد متولي وهويدا محمد فهمي، المرجع السابق، ص: 257.

[4]- نفسه، ص: 257.

[5]- إبراهيم بك حليم، تاريخ الدولة العثمانية العلية "التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية"، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، 1988م، ص:95.

بعد ذلك تم إرساله إلى الصدر الأعظم إبراهيم باشا الذي استقبله في حلب ومنحه رتبة قبطان وأمير أمراء الجزائر وأرسله إلى إسطنبول[1].

زاول الأخوان بربروسا نشاطهما بكل جدارة واستحقاق منذ اتخاذهما لجزيرة جربة كمقر رسميا لهما، وقد كانت لهما تحركات ملحوظة بعد استنجاد أهالي الجزائر بهما ضد الاسبان فكانت وجهتهما الأولى نحو بجاية ثم جيجل ثم الجزائر فتلمسان، ولم يجب أمل أي منهما رغم الإصابة التي منى بها عروج.

[1]- فؤاد متولي وهويدا محمد فهمي، المرجع نفسه، ص ص:257- 258.

2- ظروف التواجد العثماني بطرابلس ونتائجه:

2-1- إستنجاد أهالي طرابلس بالأتراك :

كانت سنة 1516م هي الفترة التي دخلت فيها طرابلس تحت السيطرة العثمانية[1]، وذلك خلال عهد السلطان العثماني سليم الأول[2]، حيث كانت هده الدولة في أوج ازدهارها[3]، وذلك من خلال ثبات عقيدة الدين الإسلامي لديها، إضافة إلى قواتها التي كانت نشطة برا وبحرا.

فقد كانت انتصارات الأتراك دافع حفز سكان طرابلس للإستنجاد بقوتهم، وذلك للتخلص من حكم الأسبان[4]، حيث اتجه في سنة 926هـ-1520م وفد من أهل تاجوراء إلى إسطنبول[5]، يطلبون النجدة من السلطان العثماني[6]، من أجل القضاء على فرسان القديس يوحنا[7] واستبدادهم، وذلك بعد توضيحهم للأوضاع المزرية والبلاء الذي كان قد تفشى في هذه المنطقة ،وكذا تفاقم التصرفات الإسبانية الأخلاقية،فكان هذا دافع أثر في نفسية السلطان وأيقض فيه روح الانتقام،حيث استجاب لطلب الوفد وأرسل معه مراد آغا رفقة بعض الجنود، وتم تحصين المدينة، إضافة إلى القيام ببعض المناورات [8]، قصد تفكيك قوة فرسان القديس وتشتيت انتباههم وملاحقتهم، باعتبارهم مصدر إزعاج بالنسبة للعثمانيين بصفة عامة وللسلطان بصفة خاصة.

---

[1]- نهدي صبحي الحمضي، تاريخ طرابلس من خلال وثائق المحكمة الشرعية من النصف الثاني من القرن السابع عشر ميلادي، ط1، دار الإيمان، طرابلس، 1986، ص:88.

[2]- فاتح رجب قدورة، الدولة العثمانية في آثار الشيخ الزاوي، المجلة الجامعة، م4، جامعة الزاوية، العدد السادس عشر، نوفمبر2014، ص:1.

[3]- نهدي صبحي الحمضي، المرجع نفسه، ص:45.

[4]- راسم راشدي، طرابلس الغرب في الماضي والحاضر، ط1، طرابلس،د.ت، ص:88.

[5]- زين الدين العابدين شمس نجم الدين، تاريخ الدولة العثمانية، ط1، دار المسيرة، الأردن، 1430هـ،2010م، ص:178.

[6]- زاهية قدورة، تاريخ العرب الحديث، د.ط، دار النهضة للنشر، بيروت، 1985، ص:414.

[7]- خلف بن دبلان بن خضر الوذينالي، الفتح العثماني لجزيرة رودس 929هـ/1523م، د.ط، مكتبة الملك فهد الوطنية، مكة المكرمة، 1418هـ.1997م، ص:12.

[8]- أحمد بك النائب الأنصاري ،المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب،د.ط مكتبة الفرحاني، ليبيا ، د.ت، ص ص:186-188.

كان مراد آغا[1] بمثابة ممثل للسلطان وقائد للقوات التركية المأمورة بمحاربة وطرد المسيحيين من طرابلس، وهو الذي بعثه السلطان إلى طرابلس بعد إستنجاد أهلها به، وقد كان دخوله موضع خلاف بين المؤرخين، حيث يرى ابن غلبون أن دخوله كان سنة 1520م،ويوافقه في ذلك صاحب كتاب المنهل العذب، وحجتهم في ذلك أن قدومه لهذه الديار كان بطلب من السلطان الذي أمره بمرافقة وفد تاجوراء سنة 1520م.

لكن عمر الباروني يرى أن اسم مراد آغا في حد ذاته لم يظهر في طرابلس إلا سنة 1538م، وذلك بعد انضمامه لخير الدين بربروس[2].

والأرجح أن قدومه كان سنة 1520م، بعد الاستنجاد الذي كان سببا في دخوله إلى طرابلس.

في هذه المرحلة هرب من فرسان القديس يوحنا الأسرى الذين كانوا بحوزتهم من سكان الجهة الغربية، حيث بعثوا ورائهم رسلا فقبض عليهم أهل لماية وباعوهم لمراد آغا، فكان هذا سبب أظهر استياء الفرسان وجعلهم يسعون إلى الانتقام من قادة وسكان هذه الجهات، فجهزوا أسطولا ضم ثمانية قطع بحرية،و أرسلوا جيشا بريا إلى لماية والذي سلك طريق الساحل[3].

بعدها انطلق الجيشان البري والبحري في جويلية 1545م[4] من طرابلس وقد كان الجيش الأول الأول بقيادة أحد أعيان سوق الجمعة والذي كان متحالف مع الفرسان، فوصل الجيشان إلى لماية عندما بدأ الفجر يسل خيوطه الأولى، وقد شعر أهلها باقتراب العدو، ففروا نحو الجنوب وبالتحديد

[1]- مراد آغا: هو أول والي على طرابلس، أظهر شجاعة فائقة في حرب فرسان القديس يوحنا، عينه سنان باشا والي على مدينة طرابلس في سنة 1551م، وذلك بعد أن طرد منها فرسان القديس. هو من أصل ايطالي ولد في راقوسا حيث أسره القراصنة وباعوه، ووجد نفسه بخدمة السلطان سليم الأول، وهو من إهتم بإصلاح الفوضى التي كانت بمدينة طرابلس والتي خلفها بها الأسبان (الطاهر أحمد الزاوي، ولاة طرابلس من بداية الفتح العربي إلى نهاية العهد التركي، المرجع السابق، ص ص: 153-154).

[2]- ابن غلبون، المصدر السابق، ص: 153، أحمد بك النائب الأنصاري، المصدر السابق، ص:188.

[3]- الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المرجع السابق، ص:298.

[4]- عمر محمد الباروني، المرجع السابق، ص: 113.

إلى البادية، وقد كان هذا عامل قوة للجيش، حيث سهل عليهم مهاجمة المدينة وأسروا حوالي أربعمائة شخص[1].

كانت هذه الحوادث سبب جعل الأب جوان لافالي والي طرابلس يقترح في سنة 1546م على منظمة الفرسان نقل مركزهم إلى طرابلس[2]، إلا أن الفرسان لم يرضوا بهذا الاقتراح، بسبب دفاع الطرابلسيين ومقاومتهم الشديدة، إضافة إلى تخوفهم من الأسطول التركي والذي كان متمركزا بالبحر الأبيض المتوسط[3].

2-2- تجهيز الأسطول التركي:

تجمع الأسطول التركي في شرقي البحر الأبيض المتوسط بقوة قدرت 150 سفينة و17 ألف جندي و600 فارس بقيادة القائد سنان باشا، وكذا بمساعدة درغوث باشا[4].

كان تاريخ 18 جويلية 1551م هو اليوم الذي نزلت فيه هذه الحملة بمالطة ،حيث نجح سنان باشا في السيطرة على جزيرة قوزو، وبعدها اتجهوا نحو طرابلس، وقصد سنان باشا تاجوراء[5]، التي كان بها مراد آغا، وقد أرسل رسالة مع رجل عربي من هذه المنطقة إلى فرسان القديس يوحنا وقائدهم جاسباري دي سنقوسا، والتي تضمنت تسليم المدينة مقابل المحافظة على أرواح وأموال الفرسان[6]، وقد ذكر فيها: (استسلموا لرحمة السلطان الذي أمرني بإخضاع هذه البقعة تحت طاعته،ولسوف أمنحكم الحرية والحياة والممتلكات العائدة إليكم،وإلا سأمرركم جميعا تحت حد السيف)[7].

---

[1]- الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المرجع السابق، ص:298.

[2]- عمر محمد الباروني، المرجع السابق، ص: 115.

[3]- الطاهر أحمد الزاوي، المرجع نفسه، ص:298.

[4]- ايتوري روسي، المصدر السابق، ص ص: 208- 209.

[5]- هي بادية شاسعة الأطراف، تبعد عن طرابلس شرقا بحوالي أربعة أميال، بها قطعة محصنة بناها الأتراك، يعد أهلها من أصحاب الطباع الغليظة، حرفتهم الأساسية هي اللصوصية، كانوا تابعين لوالي طرابلس (مارمول كاربخال، المرجع السابق، ص: 128).

[6]- الطاهر أحمد الزاوي، المرجع نفسه، ص: 302.

[7]- شارل فيرو، المصدر السابق، ص: 92.

كان سنان باشا في هذه الفترة قد تمكن من محاصرة طرابلس وبقي يترقب رد الفرسان، في هذه الأثناء قدم السفير الفرنسي دارمون، بعدما طلب إذنا بمقابلة سنان باشا حيث ترجاه في التخلي عن فكرة احتلال طرابلس والسيطرة عليها، بموجب الصداقة التي كانت بين فرنسا[1] والسلطان سليمان[2] الذي لقب بخليفة المسلمين[3].

لكن سنان باشا لم يبالي بهذه الصداقة ورفض طلب هذا السفير واعتذر وذلك باعتباره مأمور من طرف السلطان، وهنا ظهر تخوف سنان باشا من هذا السفير، وهو ما جعله يأمر بعدم مغادرته لتاجوراء، وذلك لضمان عدم اتصاله بالأستانة أو بفرسان القديس يوحنا، ولعدم عرقلة أعماله.

بعد ذلك وصل رد الفرسان على رسالة سنان باشا والذي تمثل في رفض تسليم طرابلس إضافة إلى المقاومة[4]،وقد تجلى ذلك في قول دي فاليير: (لقد عهد إلي بحراسة هذه البقعة من قبل منظمتي الدينية، ولست أملك أمر التخلي عنها إلى من يأمرني به المرشد الأكبر،وهذا هو السبب في أنني سأدافع عنها ضد الجميع حتى الموت).

[1]- الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي، ليبيا، المرجع السابق، ص: 302.

[2]- هو السلطان سليمان القانوني (1520-1566م)، تولى الخلافة بعد وفاة أبيه عام 1520م، بلغت الدولة العثمانية في عهده وقوتها واتساعها وقد اشتهر بالتسامح والعدالة حيث عاقب الضباط المنحرفين ونجح في إنشاء أسطول كبير مكنه من مواجهة الأعداء خاصة الاسبان، وحصل على لقب الفخم بسبب ازدهاره وعظمته(إسماعيل أحمد باغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الجديد، د.ط، مكتبة العبيكان، د.ت، ص ص: 62-63).

[3]- خليل إينالجيك،الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار،تر:محمد الارناؤوط، ط1، دار المدار الإسلامي، ليبيا، 2002، ص:92.

[4]- الطاهر أحمد الزاوي، المرجع نفسه، ص: 303.

3- الهجوم التركي على طرابلس:

هاجمت قوات سنان باشا 08 أوت 1551م قلعة طرابلس[1]، حيث تم تدمير سورها[2]. وكان يقود الأسطول التركي طرغوث باشا[3] الذي عمل على طرد الاسبان من سوسة وصفاقس، ونجح في احتلال المهدية خلال سنة 1550م.

وخلال هذه المرحلة هدد طرغوث باشا فرسان القديس يوحنا ،وذلك بعد دعمه لمراد آغا بطرابلس الغرب، فكان هذا سبب جعل فرسان القديس يحسبون ألف حساب لهجوم الأسطول التركي على طرابلس، نظرا لضعف مقاومتهم واعتمادهم على ملوك أوروبا، الذين لم يلتزموا بوعودهم بخصوص تقديم المساعدة في حال حدوث أي هجوم، إلا أن الفرسان لم يستسلموا وإستنجدوا من جديد بملوك أوروبا.

وقد كان هذا دافع زاد من إصرار الأتراك على انقاذ إفريقية وتخليصها من القراصنة المسيحيين، حيث نشأت علاقة دائمة بين السواحل الإفريقية والقراصنة الأتراك[4].

فتعرض فرسان القديس يوحنا إلى أضرار بليغة، كان دافع أظهر إصرارهم بالضغط على قادتهم لطلب الصلح والسفر إلى مالطة، وهو الأمر الذي جعل حاكم المدينة فاليير يقتنع بأن سقوط طرابلس في قبضة الأتراك أمر واقع لا محالة منه [5].

---

[1]- خليفة محمد التيليسي، المرجع السابق، ص: 76.

[2]- ايتوري روسي، المصدر السابق، ص: 26.

[3]- طرغوث باشا: يسميه العامة بدرغوث باشا، تسلم الحكم وشؤون البلاد من مراد آغا، عمل على تشجيع الزراعة والتجارة وحتى الصناعة، اعتمد في نفقاته على غنائم التي كان يجنيها الأسطول في غزواته على أوروبا، كما نجح في احتلال صفاقس، (الطاهر أحمد الزاوي، ولاة طرابلس من بداية الفتح العربي إلى نهاية العهد التركي، المرجع السابق، ص ص: 156-157).

[4]- الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المرجع السابق، ص: 301.

[5]- إيتوري روسي، المصدر نفسه، ص: 186.

[6]- الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المرجع نفسه، ص: 304.

في هذه الفترة بعث الفرسان إلى سنان باشا يطلبون التفاوض معه[1]، بشرط منحهم حرية المغادرة إلى مالطة[2]، لكن سنان باشا رفض، إلا في حالة واحدة وهي: دفع الفرسان ثمن ما أنفقه على هذه الحملة (أي تعويض خسائره)،لكنهم رفضوا لتدهور أوضاعهم المادية آنذاك[3].

واستدعى سنان باشا حاكم طرابلس فالبير والذي قدم رفقة مساعده[4]، فعرض عليه سنان باشا أمرين على أن يختار واحدا منهما:

الأول دفع الخسارة الحربية والثاني أسر الفرسان وبيعهم في الأسواق لتعويض النفقات، فاستاء فالبير من ذلك ،و أقدم على شتم سنان باشا ،حيث قام هذا الأخير بسجنه[5]، وبعدها بعث سنان باشا بمساعد فالبير إلى طرابلس والذي أطلع الفرسان على شروط الاستسلام[6].

وعليه خاف الفرسان و قاموا بفتح أبواب المدينة وتسليمها[7]، وهو ما سهل على سنان باشا وطرغوث باشا[8]، ومراد آغا دخول طرابلس والسيطرة عليها، وقد وفى سنان باشا بوعده بخصوص وقف قتل الفرسان وترك أرواحهم وأموالهم[9].

[1]- نصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائري في العهد العثماني ويليه ولايات المغرب العثمانية (الجزائر، تونس، طرابلس الغرب)، ط 02، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت، ص: 304.

[2]- إيتوري روسي، المصدر السابق، ص: 210.

[3]- الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المرجع السابق، ص: 304.

[4]- عمر محمد الباروني، المرجع السابق، ص: 134.

[5]- الطاهر أحمد الزاوي، المرجع نفسه، ص: 304.

[6]- إيتوري روسي، المصدر نفسه، ص: 210.

[7]- الطاهر أحمد الزاوي، المرجع نفسه، ص: 304.

[8]- مابل لوميس تود، أسرار طرابلس، ط 02، دار المحدودة، لندن، 1985، ص: ص: 53-54.

[9]- الطاهر أحمد الزاوي، المرجع نفسه، ص: 304.

وهكذا كللت مخططات ومساعي الأتراك بالنجاح في 14 أغسطس 1551م بخصوص احتلال طرابلس[1] وإجلاء فرسان مالطة منها[2].

فقد كانت الانجازات العثمانية بشمال إفريقية مؤشر[3] ساهم في جعل طرابلس الغرب ولاية عربية ذات سيادة عثمانية[4].

وحقيقة الأمر أن تطلع العثمانيين لإنجاد طرابلس، لم يكن بهدف تخليصها فحسب، بل نواياه تتعدى لأكثر من ذلك، ألا وهي تحقيق السيادة والسيطرة على باقي أنحاء العالم العربي.

[1]- محمود علي عامر ومحمد خير فارس، المرجع السابق، ص: 163.

[2]- فرانشسكو كورو، ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني، تق: خليفة محمد التلسي، د.ط،منشورات الجمهورية العربية الليبية، طرابلس، طرابلس، 1971- 1984، ص: 13.

[3]- بكر محمد إبراهيم، موسوعة التاريخ الإسلامي الدولة العثمانية، مركز الراية للنشر والإعلام، القاهرة، 2006، ص: 210.

[4]- محمد سهيل طقوش، التاريخ الإسلامي الوجيز، ط 03، دار النفائس، بيروت، 1427هـ-2006م، ص: 367.

خاتمة

في نهاية بحثنا هذا توصلنا إلى مجموعة من الاستنتاجات التي يمكن إدراجها فيما يلي:

تميزت طرابلس الغرب بازدهار تجاري واسع ناهيك عن موقعها الاستراتيجي ولكنها لم تكن محصنة، وذلك لبعدها عن مركز الخلافة،و على الرغم من تمكنها من بالاستقلال الداخلي في ما بعد إلى أنها بقيت على حالها وهذا ما جعل الأنظار الأوروبية المسيحية والإسبانية منها خاصة تأخذ منحى واحد، إذ أن كل واحدة منها تطمح للظفر بهذه المدينة واتخاذها كقاعدة رسمية، وقد كان لإسبانيا الفضل في ذلك.

إذ تمكنت من الاستيلاء على طرابلس في وقت وجيز لكثرة عدتها وعتادها وخلفت خسائر مادية و بشرية فادحة في عمرانها وأهلها ونجحت بامتياز في ذلك في 25 جويلية 1510.

تمادت أطماع إسبانيا لأكثر من ذلك إذ شنت هجومات متتالية على جزيرة جربة بقيادة دون غارسيا، ولكن أهلها قابلوا هذا الاحتلال بالصمود في وجهه وبذلوا المستحيل حتى لا تنال إسبانيا بجزيرتهم وعندما أدركت هذه الأخيرة أنها أخفقت في الاستيلاء على هذه الجزيرة فتمركزوا بجزيرة قرقنة ريثما يستعيدون أنفاسهم من معركتهم .

أحرزت إسبانيا انتصارات باهرة أثناء احتلالها لطرابلس، وبالرغم من كل محاولاتها في إخضاع كل من جزيرة جربة وقرقنة إلا أنها لم تفلح في ذلك، ولم تبقى طويلا بطرابلس، إذ أن ظروفها الداخلية وقفت عائقا أمام نشاطاتها الأمر الذي جعلها تسلمها لفرسان القديس يوحنا بعد مفاوضات واتفاقيات عديدة.

فبعد تسلم فرسان القديس يوحنا زمام الأمور بطرابلس استخدموا عدد إجراءات (فرض الجبارية، السيطرة على المنصورية، لماية، صبراتة ... إلخ)، كما أنهم بذلوا جهودا مضنية في تحصين المدينة.

كانت نظرة الاسبان لتونس والجزائر وفق خطة صليبية أوروبية تهدف لتطويق العالم الإسلامي وإخضاع هذه المناطق لنفوذها، وفي هذا السياق أراد أمير تونس عقد علاقة صداقة مع فرسان

القديس يوحنا، لكن خير الدين بربروس تفطن لذلك، وخوفا على مكانته لجأ إلى تاجوراء لإعلان الحرب على فرسان القديس.

بعدها تمكن خير الدين من احتلال تونس وإزاحة أميرها الحفصي عن منصبه، الأمر الذي أدى بحسن آغا إلى الاستنجاد بشارلكان ضده.

انتهت حملة شارلكان مع خير الدين بانتصار شارلكان الذي أعاد الأمور إلى ما كانت عليه بتونس واشترط لذلك الكثير .

بعد كل هذا اتجهت أنظار شارلكان إلى الجزائر التي دخلها بأسطول ضخم بغية إخضاعها والقضاء على التواجد التركي بالجزائر، لكن أهالي الجزائر كانت ردتهم عنيفة وقد نجحوا في رصد قوات شارلكان.

لم يغفل العثمانيون أصحاب القوة البارزة في العالم الإسلامي عن التغيرات التي كانت تحدث في دول الشمال الإفريقي خلال القرن 16م وهو الأمر الذي جعلهم يسعون إلى بسط السيطرة العثمانية في الحوض الشرقي والغربي للبحر المتوسط، وللتخلص من البطش والتعصب الاسباني الذي كان يفرض وجوده في هذه المناطق.

كان ظهور خير الدين وعروج نابعا من خطة مدروسة، فكانت أول أعمالهما اتخاذ جزيرة جربة مركزا لهما، وقد زاولا نشاطهما بكل جدارة واستحقاق، وقد كانت لهما تحركات ملحوظة خاصة بعد استنجاد أهالي الجزائر بهم ضد الاسبان، بعدها اتجها نحو بجاية ثم جيجل ثم الجزائر فتلمسان، ولم يخب أمل كل منهما رغم الإصابة البليغة التي مني بها عروج.

بعدها استنجد أهالي طرابلس بمركز الخلافة العثمانية باسطنبول ضد فرسان القديس، فاستجاب العثمانيون لذلك، ولكن هدفهم لم يكن تخليص طرابلس من أيدي الفرسان فحسب بل كانوا يهدفون إلى تحقيق السيادة والسيطرة على طرابلس وكافة أنحاء العالم الإسلامي.

قائمة المصادر

والمراجع

المصادر:

1.ابن أبي الدينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط01، مطبعة الدولة التونسية، 1286م.

2.ابن غلبون أبي عبد الله محمد ابن خليل، التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخيار، تع: الطاهر أحمد الزاوي، ط01، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، 2004م.

3.إيتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م: تر: خليفة محمد التليسي، ط2 1991م ،دار العربية للكتاب، الإسكندرية، د.ت

4.اينا لجيك خليل، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الإنحدار، تر: محمد الأرناؤوط، ط01، دار المدار الإسلامي، ليبيا، 2002م.

5.بربروس خير الدين، مذكرات خير الدين بربروس، تر: محمد دراج، ط01، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010م.

6.التيجاني أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد، رحلة التيجاني، د.ط، الدار العربية للكتاب، ليبيا– تونس، 1981م.

7.الحسن بن محمد الوزان الفاسي(ليون الإفريقي)، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي و محمد الاخضر،ج1،ط2،دار الغرب الاسلامي،بيروت،1983م.

8.شارل فيرو، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي، تح: محمد عبد الكريم الوافي، ط03، قازيونس، بنغازي، 1994م.

9.شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت ابن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، م02، دار صادر، بيروت، د.ت.

10. شوجر بيتر، أوروبا العثمانية (1304م-1804م) تر: عاصم الدسوقي، ط01، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، 1998م.

11. العياشي عبد الله بن محمد، الرحلة العياشية (1661م-1663م)، م01، تح: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، ط01، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي ، 2006م.

12. كاتب مراكشي، الاستبصار في عجائب الأمصار، تع، سعد زغلول عبد الحميد ،د.ط، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، د.ت.

13. المبشر ايفالد، رحلة المبشر ايفالد من تونس إلى طرابلس في سنة 1835م (مرورا بسليمان ونابل والحمامات وسوسة والمنشير والمهدية وصفاقص وقابس وجربة)، تع: منير الفندري، د.ط، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق(بيت الحكمة)، تونس، 1995م.

14. محمد ابن المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، ط01، ط02، مكتبة لبنان، بيروت، 1975م.

15. محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تح: احسان حقي، ط01، دار النفاس، بيروت، 1981م.

16. المزاري بن عودة، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، ج01، تح: يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، د.م، د.ت.

17. النائب الأنصاري أحمد بك، المنهل العذب في عجائب في تاريخ طرابلس الغرب، د.ط، مكتبة الفرجاني، ليبيا، د.ت.

18. هابنسترايت، رحلة العالم الألماني .ج. أو هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس، ترجمة وتحقيق وتعليق: نصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، د.ت.

19. هاينريش بارت، سبع رسائل مخطوطة عن .رحلته إلى تونس (1845م-1846م)، تح: منير الفندري، د.ط، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق(بيت الحكمة)، تونس، 1987م.

المراجع:

1.أصاف غرتلو يوسف بك، تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، تق: محمد زينهم محمد غرب، ط01، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1995م.

2.الباروني عمر محمد ، الإسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس، د.ط، د.ت.

3.بازامه محمد مصطفى ، ليبيا في عشرين سنة من حكم الاسبان 1510م-1530م، د.ط،منشورات مكتبة الفراجاني، طرابلس،1960م.

4.براهيم نصر الدين، نص سيدي محمد نقادي، تلمسان الذاكرة، د.ط، سلسلة المدن الجزائرية، د.م، 2010م.

5.بوعزيز يحي، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج01، د.ط، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009م.

6.تدمري عمر عبد السلام، تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور، ج01، د.ط، دار البلاد، طرابلس، د.ت.

7.التر عزيز سامح ، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر: محمود علي عامر، ط01، دار النهضة العربية، بيروت،م 1989م.

8.التليسي خليفة محمد ، حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب، ط03، دار الكتب الوطنية، ليبيا، 1997م.

9.الجمل شوقي عطا الله، المغرب الكبير في العصر الحديث، ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، ط01، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1977م.

10. حاطوم نور الدين، تاريخ عصر النهضة الأوروبية، د.ط، دار الفكر، دمشق، د.ت.

11. حليم براهيم بك، تاريخ الدولة العثمانية العلية(التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية)، ط01، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، 1980م.

12. الحمضي نهدي صبحي، تاريخ طرابلس من خلال وثائق المحكمة الشرعية من النصف الثاني من القرن السابع عشر ميلادي، ط01، دار الإيمان، طرابلس، 1986م.

13. رشدي راسم، طرابلس الغرب في الماضي والحاضر، ط1، طرابلس،1953م.

14. الزاوي الطاهر أحمد ، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، ط04، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2004م.

15. الزاوي الطاهر أحمد،ولاة طرابلس من بداية الفتح العربي إلى نهاية العهد التركي،ط1،دار المدار الإسلامي ، بيروت-لبنان،2004م.

16. الزبيري محمد العربي ، مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث، ط02، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر. 1985م.

17. زين العابدين شمس نجم الدين، تاريخ الدولة العثمانية، ط01، دار المسيرة، الأردن، 2010م.

18. السرجاني راغب، قصة تونسية من البداية إلى ثورة 2011م، ط01، دار أقلام للنشر والتوزيع، القاهرة، 1432هـ-2011م.

19. سري الجوهري، شمال إفريقية، ط06، الهيئة المصرية للكتاب، الإسكندرية، 1980م.

20. سعيدوني نصر الدين، تاريخ الجزائر في العهد العثماني ويليه ولايات المغرب العثمانية (الجزائر، تونس، طرابلس الغرب)، ط 02، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت.

21. سعيدي عثمان، الجزائر في التاريخ، د.ط، شركة دار الأمة، الجزائر.2013م.

22. الشريف محمد الهادي ، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، تح: محمد الشاوش ومحمد عجينة، ط03، دار سراس للنشر، تونس، 1993م

23. طقوش محمد سهيل ، التاريخ الإسلامي الوجيز، ط03، دار النفاش، بيروت، 2006م.

24. عبد الرحمن حميدة، جغرافية الوطن العربي، ط01، دار الفكر، سوريا، 1990م.

25. العسيلي بسام، خير الدين بربروس والجهاد في البحر،1470م-1547م، ط01، دار النفائس، بيروت،1980م.

26. عمران محمود سعيد ، حضارة أوروبا في العصور الوسطى، د.ط، دار المعرفة الجامعية، بيروت، 1998م.

27. عمورة عمار، موجز في تاريخ الجزائر، ط01، دار ريحانة، الجزائر، 2002م.

28. غلاب عبد الكريم ، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، ج02، ط01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005م

29. فرانشسكو كورو، ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني، تق: خليفة محمد التلسي، د.ط،منشورات الجمهورية العربية الليبية، طرابلس، 1971م- 1984م.

30. قدورة زهية ، تاريخ العرب الحديث، د.ط، دار النهضة للنشر والتوزيع، بيروت، 1985م.

31. قطب محمد علي، مذابح وجرائم التفتيش في الأندلس، د.ط،د.ت.

32. كربخال مارمول، إفريقيا، تر: محمد حجي وآخرون، ج03، الجمعية المغربية، الرباط، 1984م.

33. الكعاك عثمان ، موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، تق: أبو القاسم سعد الله وناصر الدين سعيدوني وآخرون، ط01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003م.

34. كمالي إسماعيل، سكان طرابلس الغرب، تع: الحسن الهادي بن يونس، د.ط، مركز الليبيين، طرابلس، د.ت.

35. مابل لوميس تود، أسرار طرابلس، ط02، دار المحدودة، لندن، 1985م.

36. مبارك أحمد باقر عبد الله ، هجرة الحروب الصليبية، د.ط، مجلة الهجرة، د.ت.

37. المتولي أحمد فؤاد وفهمي هويدا محمد، تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي، د.ط، إيتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت.

38. محمود علي عامر ومحمد خير فارس، تاريخ المغرب العربي الحديث "المغرب الأقصى ليبية، ج01، د.ط، د.ت.

39. المدني أحمد توفيق ، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492م-1792م، د.ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت.

40. المطوي محمد العروسي ، الحروب الصليبية في الشرق والمغرب، ط02، دار الغرب الإسلامي، 1989م.

41. ممدوح حسين، الحروب الصليبية في شمال إفريقية وأثرها الحضاري سنة 668هـ-792هـ 1270م-1390م، ط01، 1998م.

42. مؤنس حسين ، أطلس تاريخ الإسلام، ط01، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1987م.

43. الميلي مبارك ابن محمد الهلالي ، تاريخ الجزائري القديم والحديث، ج03، د.ط، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، د.ت.

44. الناضوري رشيد ، تاريخ المغرب الكبير (العصور القديمة أسسها التاريخية الحضارية والسياسية)، د.ط، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م.

45. نمير طه ياسين، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ط01، دار الفكر ناشرون وموزعون، عمان، 2009م.

46. نوار عبد العزيز سليمان، الشعوب الإسلامية (الأتراك العثمانيون،الفرس، مسلمي الهند)، د.ط، دار النهضة العربية، بيروت، 1979م.

47. الوذينالي خلف بن دبلان بن خضر، الفتح العثماني لجزيرة رودس، 929هـ-1523م، د.ط، مكتبة الملك فهد الوطنية، مكة المكرمة، 1997م.

48. ياغي إسماعيل أحمد ، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، د.ط، مكتبة العبيكان، د.ت.

49. يحي جلال، تاريخ المغرب الكبير في العصور الحديثة وهجوم الاستعمار،د.ط، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م.

المجلات:

1.بلحميسي مولاي، غزوة شارل الخامس على مدينة الجزائر، م05، مجلة الأصالة، الأعداد 14-15-16، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان، 2011م.

2.التميمي عبد الجليل، رسالة من مسلمي غرناطة إلى السلطان سليمان القانوني 1510م، المجلة التاريخية المغربية، العهد الحديث والمعاصر، العدد 03، كلية الآداب التونسية، تونس، 1975م.

3.حكمت ياسين، الغزو الاسباني للجزائر في القرن 16م، م 03، مجلة الأصالة، الأعداد 08-09-10، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان، 2011م.

قدورة فاتح رجب، الدولة العثمانية في آثار الشيخ الطاهر الزاوي، المجلد الجامعة، المجلد الرابع، جامعة الزاوية، العدد 16، نوفمبر 2004م.

الرسائل الجامعية والبحوث:

1.نبيل الحي رضوان، جهود العثمانيين في الحد من التهديد البرتغالي للنشاط التجاري في الخليج العربي من 1538م-1559م، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة أم القرى، (د.ت).

2.نبيل الحي رضوان، جهود العثمانيين لاتخاذ الأندلس واسترداده في مطلع العصر الحديث، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي الحديث، جامعة أم القرى، مكة، 1987م.

الموسوعات:

1.بكر محمد ابراهيم ،موسوعة التاريخ الإسلامي الدولة العثمانية، مركز الراية للنشر والإعلام، القاهرة، 2006م.

2.عاطف عبد، موسوعة قصة وتاريخ الحضارات العربية بين الأمس واليوم تونس الجزائر، د.ط، د.م، 1989م-1999م.

3.الفتاح مقلد الغنيمي،موسوعة تاريخ المغرب العربي، دراسة في التاريخ الإسلامي، المجلد الثالث، ج 5-6، ط01،مكتبة مدبولي، القاهرة، 1994م.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات:

مقدمة .....

مدخل: طرابلس الغرب قبيل الاحتلال الاسباني.....

الفصل الأول: السيطرة الاسبانية على مدينة طرابلس الغرب

1-الاحتلال الاسباني لطرابلس .....

1-1-الظروف المهددة لاحتلال اسبانيا لطرابلس.....

1-2- دخول اسبانيا لطرابلس ونشاطاتها .....

2-الحملات الاسبانية على مدينة طرابلس الغرب .....

2-1- نزول دون غارسيا على جزيرة جربة.....

2-2- تحركات الاسبان من جزيرة جربة إلى جزيرة قرقنة .....

الفصل الثاني: فرسان القديس يوحنا وحملات شارلكان لفرسان القديس يوحنا

1- لمحة عن فرسان القديس يوحنا ونشاطهم .....

2-1- بوادر تنازل اسبانيا عن طرابلس للفرسان.....

2- حملة شارلكان على تونس 1535م.....

2-1-الاستنجاد التونسي لشارلكان .....

2-2- الجهود السياسة لشارلكان بتونس.....

3- حملة شارلكان على الجزائر 1541م .....

3-1-مرحلة الاحتلال.....

3-2- مرحلة الصراع مع الأهالي الجزائريين .....

3-3- مرحلة الضعف .....

الفصل الثالث: التواجد التركي في سواحل شمال إفريقيا

1- جهود الإخوة بربروس بجزيرة جربة سنة 1512م.....

1-1- الإخوة بربروس بجزيرة جربة.....

2-1-تحركات الإخوة بربروس.....
2- ظروف التواجد الاسباني بطرابلس ونتائجه .....
2-2- تجهيز الأسطول التركي .....
2-3-الهجوم التركي على الطرابلس.....
خاتمة .....
ملاحق
قائمة المصادر والمراجع

الملاحق

ملحق رقم 01[1]

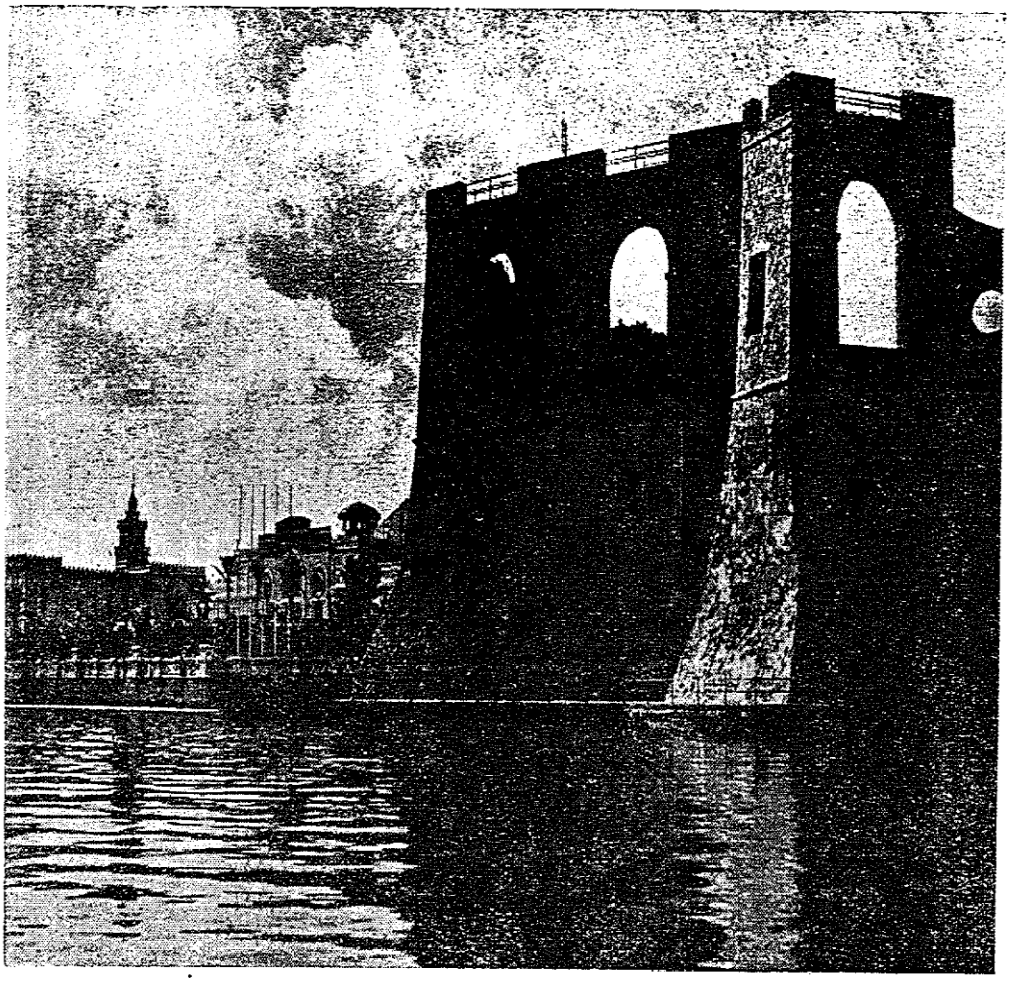

طرابلس – منظر عام للسراى الحمراء (القلعة) من البحر

[تصوير أولا]

[1]- راسم رشدي، المرجع السابق، ص 93.

ملحق رقم 02 [1]

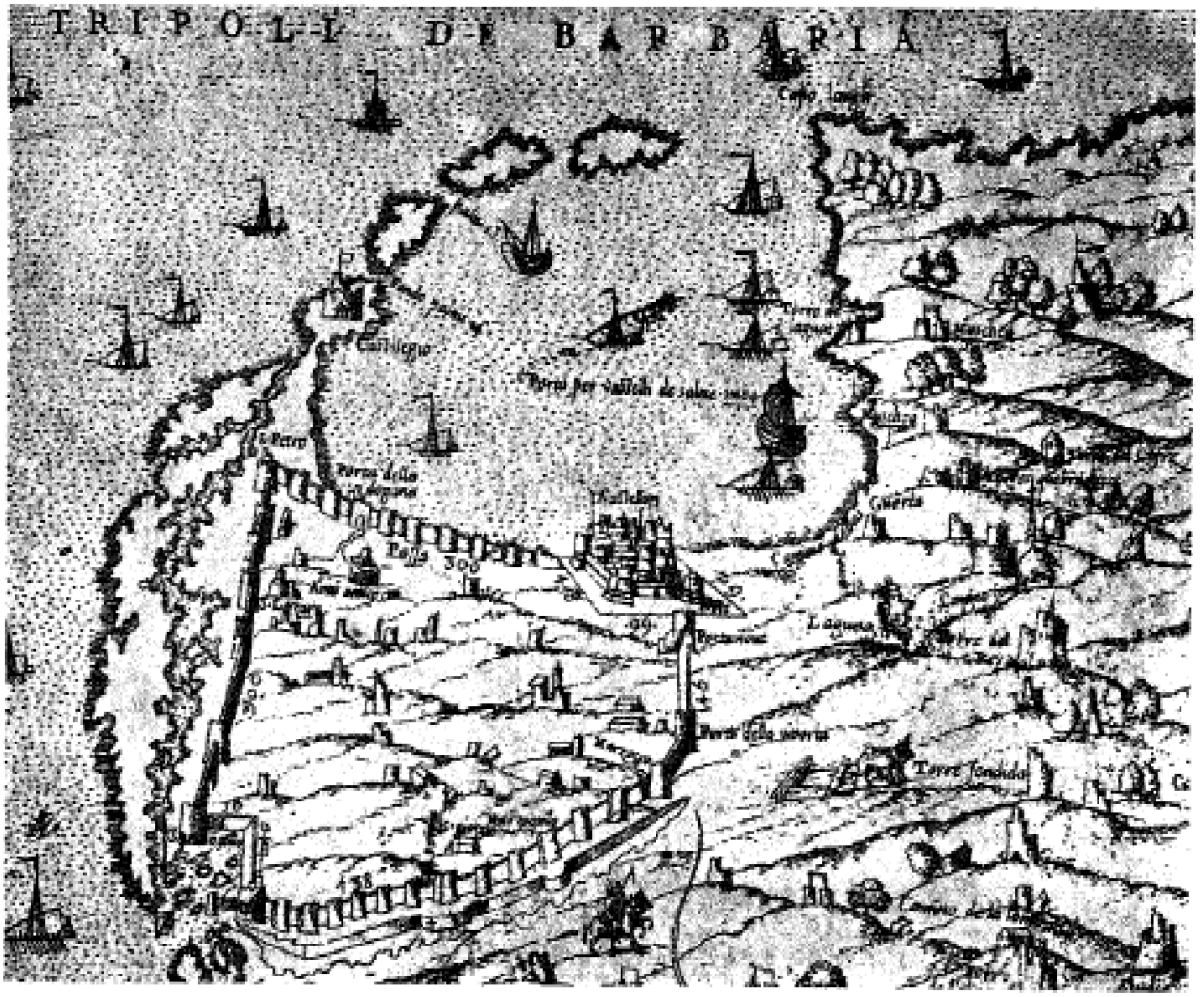

رسم قديم لمدينة طرابلس وتظهر المدينة والقلعة والميناء والضواحي .

مشاهد تاريخية مصورة من مدينة طرابلس

[1] – خليفة محمد التليسي، المرجع السابق، ص 236.

ملحق رقم 03[1]

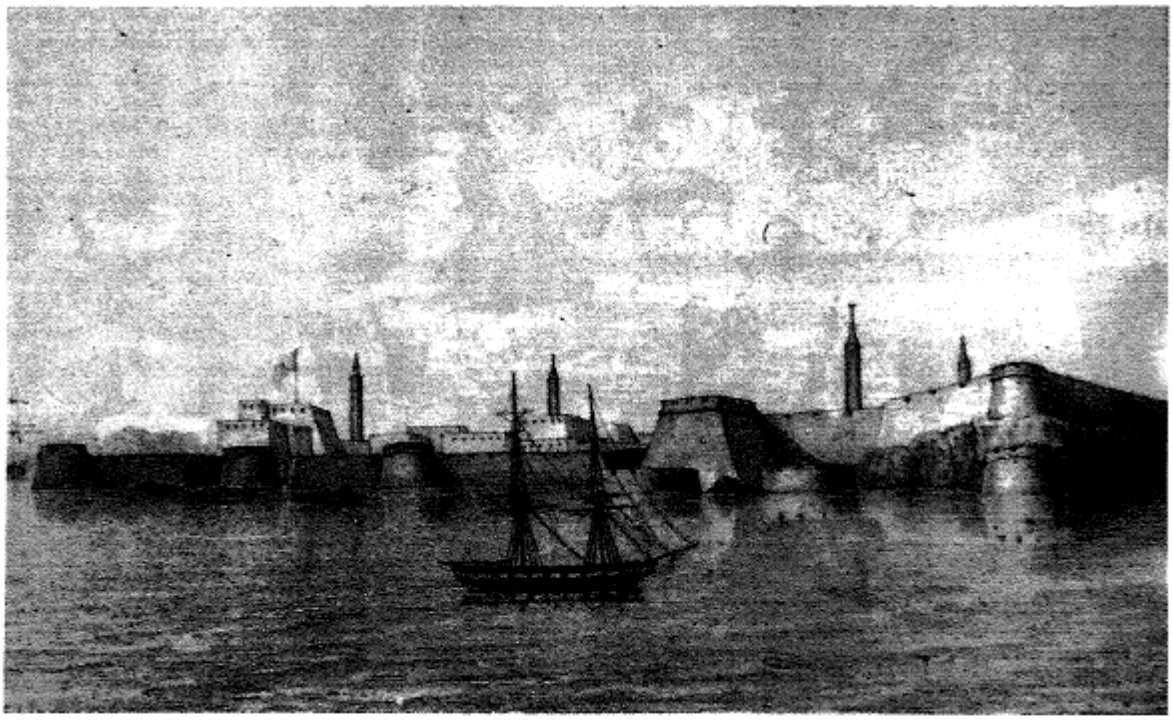

رسم قديم لميناء طرابلس وأسوارها .

[1]- خليفة محمد التليسي، المرجع السابق، ص 241.

ملحق رقم 04[1]

خير الدين باشا في شيخوخته

(متحف البحرية العثمانية باستامبول)

[1]- بسام العسيلي، المرجع السابق، ص 18.

ملحق رقم 05

قائمة بأسماء حكام منطقة مالطا بطرابلس:

1. غارسيا دي سلوسا (1530م-1531م)
2. برناردينو ماكادو (1531م-1532م)
3. أوريليو بوتيجلا (1532م-1533م)
4. غارسيا كونس (1533م-1535م)
5. جورج شيلنج (1535م-1537م)
6. أوريليو بوتيجلا للمرة الثانية(1537م-1539م)
7. هرناندودي براكاموني (1539م-1544م)
8. كريستوفانودي سوليس فرفان (1544م-1546م)
9. جيوفاني لافاليتي (1546م-1551م)
10. بيترونونيس دي هريرا (1549م-1551م)
11. غاسياري دي فالس (1551م)[1]

[1]- إيتوري روسي، المصدر السابق، ص 214.

ملحق رقم 06[1]

تفصيل من رسم قديم لمدينة طرابلس ويظهر في الرسم قصر درغوث

[1]- خليفة محمد التليسي، المرجع السابق، ص 237.

ملحق رقم 07 [1]

جامع مراد آغا.

[1]- خليفة محمد التليسي، المرجع السابق، ص 248.

ملحق رقم 08[1]

مشهد لمدينة طرابلس في العهد العثماني.

[1]- خليفة محمد التليسي، المرجع السابق، ص 297.

ملحق رقم 09[1]

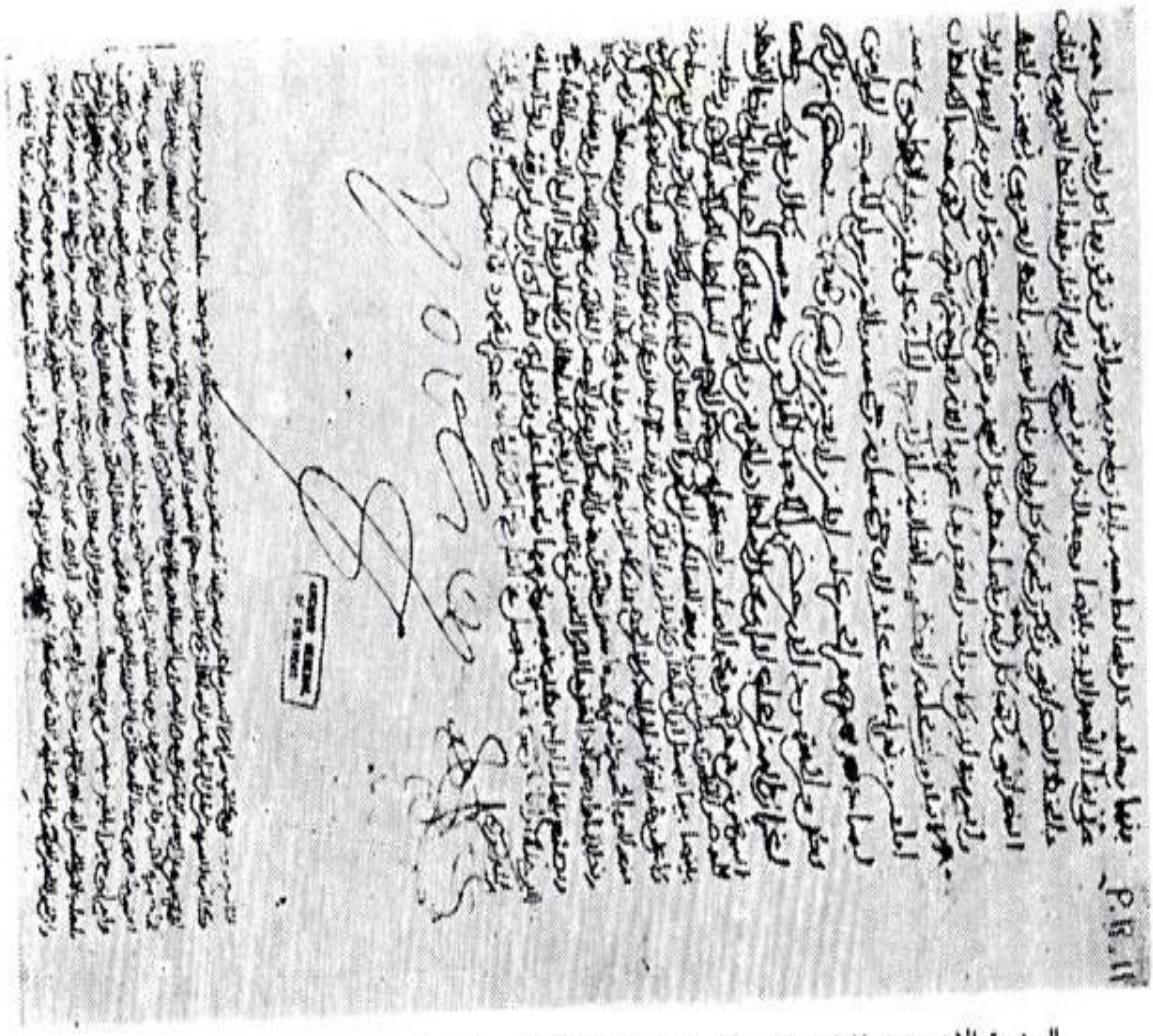

الصفحة الاخيرة من المعاهدة التي امليت على السلطان الحسن ، تحمل امضاءه وامضاء الامبراطور .

[1] – أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص: 235.